تصوير ابو عبد الرحمن الكردي

الحرب الأميركية على العراق

الفريق الركن
طه نوري ياسين الشكرجي

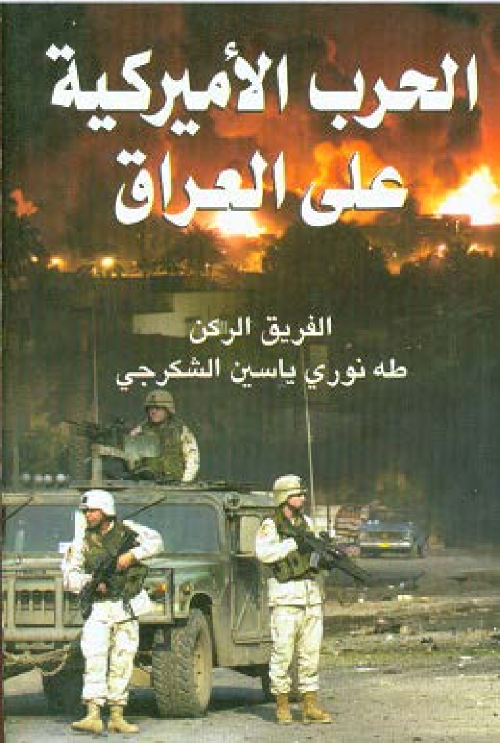

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر
عمان - الأردن (2000/6/726)

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبات والوثائق الوطنية
عمان - الأردن (2000/6/1878)

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2000/6/1878)
رقم التصنيف: 332.1
المؤلف ومن هو في حكمه: طه نوري ياسين الشكرجي
عنوان الكتاب: الحرب الأميركية على العراق
الموضوع الرئيسي: الحرب على العراق
بيانات النشر: 2 - مكتبة الرائد العلمية، الدار العربية للعلوم
* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

لتحميل أنواع الكتب راجع: (مُنْتَدى إِقْرَأ الثَقَافِي)

براي دانلود كتابهاى مختلف مراجعه: (منتدى اقرأ الثقافى)

بۆدابەزاندنی جۆرەها کتێب:سەردانی: (مُنْتَدى إِقْرَأ الثَقَافِي)

www. iqra.ahlamontada.com

منتدى إقراء الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

للكتب (كوردى , عربي , فارسي)

الحرب الأميركية على العراق

تأليف

الفريق الركن
طه نوري ياسين الشكرجي

مكتبة الرائد العلمية

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

جَميع الحقوق مَحفوظة

الطبعة الأولى

1425 هـ - 2004 م

ISBN 9953-29-982-X

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

عين التينة، شارع ساقية الجنزير، بناية الريم
هاتف: 786233 - 860138 – 785108 - 785107 (1-961)
س: 786230 (1-961) ص.ب: 5574-13 – بيروت – لبنان
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

مكتبة الرائد العلمية

وسط البلد - شارع الملك حسين
مقابل البنك البريطاني - هاتف: ٤٦٥٨٨٨٣
تلفاكس: ٤٦٤٩٨٨٣ - علوي ٥٦٩٨٨
ص.ب.: ٧١٧٧ - عمان: ١١١١٨ - الأردن

المحتويات

الباب الأول

أسباب الحرب على العراق

الفصل الأول: الأسباب الحقيقية........................ 21

الفصل الثاني: الأسباب الظاهرية (التبريرية) 37

الباب الثاني

مجريات الحرب على العراق

الفصل الأول: خطة الطرفان........................ 53

الفصل الثاني: سير الحرب ومجرى الأحداث 71

الباب الثالث

عوامل الفشل والنجاح للطرفين

الفصل الأول: عوامل فشل القوات العراقية........................ 83

الفصل الثاني: عوامل نجاح قوات التحالف 97

الباب الرابع

لماذا سقط النظام في العراق

الفصل الأول: الأسباب المتعلقة بالنظام........................ 111

الفصل الثاني: الأسباب المتعلقة بالمصالح الدولية........................ 133

الباب الخامس

الأبعاد الاستراتيجية القومية والدولية احتلال العراق

الفصل الأول: الأبعاد السياسية..145

الفصل الثاني: الأبعاد الاقتصادية..149

الفصل الثالث: الأبعاد الإيديولوجية والفكرية................................153

الخاتمة..165

إهـــداء

إلى كل أخ عسكري أو مدني صاحب قرار مخلص وأمين على سيادة وطنه ومصالح شعبه ووطنه وأمته أن يقرأ ما جـاء في هذا الكتاب المتواضع ويعمل على تجنب دخولـه الحـروب بأي ثمن ويجنب شعبه وبلاده ويلاتها ويسلك السـبل السياسـية والدبلوماسية في حل المشاكل الوطنية والقومية والدولية بالطرق السلمية تحاشياً للآثار المدمرة التي تخلفها مثل هذه الحروب في يومنا هذا على الطرفين المتحاربين، والعمل في الوقـت نفسـه على إعداد قواته المسلحة بما يمكنها من الدفاع باقتدار وكفـاءة عالية عن السيادة وإلا فالسبيل الذي يجب أن يسلكه هو الحلول السلمية وبالطرق الدبلوماسية الواعية والعمل على الدخول فـي تحالفات قومية ودولية تكسبه قوة إضافية رادعة وتأييداً دوليـاً ضد أي عدوان محتمل، والعمـل علـى كسـب الشـعب أولاً وإعطائه حرياته واحترام حقوقه والعدل والمساواة بين أفـراده ليكون هو القوة الرادعة مع قيادته ضد أي عدوان محتمل.

وفق الله الجميع إلى ما فيه خير الشعوب والإنسانية لتعيش بسلام دائم وأمن واستقرار وتقدم.

الفريق الركن
طه نوري ياسين الشكرجي

مُقـدِّمـة

خير ما أبدأ به كتاباتي هذه قول الشاعر:

"بلادي وإن جارت علي عزيزة وقومي وإن جاروا علي كرامُ"

فبلادي الكبيرة هي البلاد العربية من المحيط إلى الخليج وبلادي الصغيرة هي (العراق)، العراق الذي عاش شامخاً زمناً طويلاً بعد أن حرره شعبه من الاحتلال البريطاني في ثورة العشرين عام 1920 وحصل على استقلاله عام 1921 واستلم زمام أمره وتمتع بكامل سيادته على أرضه وبدأ شعبه العظيم في بناء الوطن في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية بخطى حثيثة لم تخل من كبوات وعثرات وضعتها قوى الظلم والطغيان أمام تقدمه وتطوره حتى يومنا هذا عام 2004.

إن الذي حدث خلال هذه الحقبة الزمنية التي تظهر للناظر إليها أنها كانت طويلة (منذ عام 1921 إلى 2004) وإن تخللتها أحداث هزت كيان هذا البلد الفتي بشعبه الأصيل القوي الأبي، القوي الإرادة والأصيل بحضارته الممتدة في عمق التاريخ والأصيل في خلقه وعاداته والمعتز بقوميته

العربية والمتآخي والمتآلف والمتمازج بقومياته الأخرى منذ قرون.

تلك الأحداث لم تكن في الحقيقة إلا مطبات عثرة وضعتها أمام عجلة تقدمه وتطوره قوى الاستعمار والردة فثورة تموز 1958 ثم ثورة 8 شباط 1963 (ثورة 14 رمضان) ثم ردة تشرين 1964 ثم ثورة 17-30 تموز سنة 1968 العربية البيضاء.

هذه الثورات والهزات العنيفة المتتالية التي هدمت ما حاولت كل قيادة ثورة البدء ببنائه أو التخطيط لبنائه لإعمار البلد حتى جاءت الأخرى فخطأتها وألغت ما بدأت به وعملت على تغييره والبدء من جديد في التخطيط والبناء حسب الأفكار والإيديولوجية التي جاءت بها.

كان لقصر عمر هذه الانقلابات والثورات المتتالية ولأسلوب التغيير الجذري لكل حركة أو ثورة لكل ما بدأت به سابقتها السبب المباشر والقوي الذي أدى إلى عودة البلاد دوماً بالإعمار والبناء إلى البداية وبعضها إلى نقطة الصفر مجدداً، إذ يغير كل منها كل شيء وفق مبادئه وبرامج تطبيقها لهذا بقيت البلاد منذ عام 1921 حتى يومنا هذا تتدحرج دوماً من سفح صعدته بشق الأنفس إلى سفح أدنى وبالتالي إلى القاع مجدداً لأن كل قيادة جديدة كانت تنسف ما بدأت به

سابقتها وذلك لغياب قدرة تلك القيادات على التخطيط إما لضعفها أو جهلها أو عدم كفاءتها أو إخلاصها أو تبعيتها وعمالتها ولأن المستعمر كان يضع العراقيل أمامها في سبيل إفشالها وهو الأغلب عادة في منطقتنا.

هكذا وبشكل موجز عاش عراقنا هذا البلد المظلوم بقياداته التي كانت دائماً تقوم على مبادئ عظيمة وطنية وقومية وديمقراطية في أول أيامها وتمنّي الشعب بها والظاهر أن هذه المبادئ التي كانت تطرحها كل قيادة سرعان ما تذوب وتتطاير حال استلام تلك القيادات السلطة وتربعها على سدة الحكم حيث كانت تبدو في أول أيام وسني حكمها جادة ومخلصة وأمينة وإذا بها تميل شيئاً فشيئاً إلى الحكم الديكتاتوري الفردي المبني على أهواء شخصية متعنتة تتدحرج إلى حكم فردي ديكتاتوري يكون رأي الشعب فيه مخدراً بالشعارات وبالتالي غائباً عن مسرح الحياة أو مغيّباً عنها بأساليب قسرية ظالمة وقد تصل إلى حدّ أن تكون دموية.

هذه السياسة أدت إلى تخلخل الإيمان بكل قيادة تأتي بعد سابقتها. ومع هذا كله فقد وصل العراق وبفعل شعبه وحيويته إلى درجة من التطور والتقدم والقوة حتى أُتهم بأنه أصبح مصدر خطر على مصالح بعض الدول الكبرى ومصالح العدو

الصهيوني فجاء الاستعمار بأساليبه الخبيثة بأكذوبة كون العراق خطراً على المصالح الدولية، أو أكذوبة امتلاكه لأسلحة الدمار الشامل وأمثال هذا وذاك، فخُطط له أن يدخل الحرب الضارية مع الجارة إيران فكانت الحرب الإيرانية العراقية عام 1980 التي دامت ثمانية سنوات حتى عام 1988 والتي لم تترك للطرفين أي قدرة أو ثروة بشرية أو مادية واستنزفت كل طاقات البلدين وأكلت خيرة شبابهما وخرجا منهوكي القوى متأرجحين من هول الضربات التي كالها كل منهما للآخر بفعل جهل قيادتي البلدين وتشجيع دول الاستعمار الكبرى الغربية كلها والتي كانت تروي نار الحرب بما لديها من سلاح وعتاد مدمر، وخرج العراق من هذه الحرب منهوك القوى مترنحاً فجاءت ضربة احتلال الكويت عام 1991 فقضت على ما بقي لديه من قوى وقدرات وخرج العراق منها مهلهلاً خاوي القوى من كل النواحي منتظراً الضربة ما قبل القاضية ألا وهي (الحصار الاقتصادي) الذي فرض عليه لمدة أكثر من عشر سنوات حتى عام 2003 والذي فتت عظام الشعب نفسه وأفقده كل مقومات الحياة الأساسية، ورغم محاولة النظام تحاشي بعض آثار الحصار لم يتمكن من المحافظة على ثقة الشعب لما سببه ذلك الحصار من آثار اقتصادية وحياتية وحتى إنسانية أدت بالشعب العراقي إلى فقدان رشده وثقته بالقيادة يوماً بعد يوم حتى جاءت الضربة

القاضية في 2003/3/20 وهي الحرب الأنكلوأميركية على العراق وبالساعة الخامسة والنصف من فجر يوم الخميس دقت صفارات الإنذار منذرة بالهجوم الجوي والصاروخي الكثيف على بغداد والمدن الرئيسية مستهدفة كل هدف عسكري أو مدني اقتصادي أو ثقافي وتاريخي فلم يميز ذلك القصف المدمر بين هذه الأهداف بل شملها كلها حتى المدارس والمعاهد والكليات والمتاحف والوزارات ودوائر الدولة كلها والدور السكنية.

ذلك اليوم الأسود المظلم فعلاً برماد ما ألقي على مدن العراق من القنابل والصواريخ التي رماها الإنكليز والأميركان والذي بفعلها تمكن من التغلغل بسهولة وسرعة من خلال هشاشة الشعب وقواته المسلحة التي صرف العراق عليها دماءه دون أثر يذكر حيث استسلمت تلك القوات مع استسلام الشعب نفسه في فترة قصيرة جداً إذا ما قارناها بالحروب التي اجتاحت دولاً أخرى. وانهارت القوات المسلحة العراقية في الجنوب والوسط والشمال، بل استسلم البعض منها بسهولة ودون مقاومة لم يتوقعها العدو نفسه، وتم احتلال بغداد في يوم الأربعاء 2003/4/9 وفي مساء هذا اليوم انتهت القدرة على مقاومة الغزو وسكت القصف ودخلوا بغداد وتفرقت قوى الدفاع إلى فلول داخل بغداد.

هيمنت دول التحالف على العراق مدينة بعد أخرى دون

مقاومة تذكر، وتطوعت القوى الكردية في الشمال للتعاون مع القوى الغازية في الشمال لإسقاط كركوك والموصل واستسلام الفيالق والفرق المقاتلة فيها دون مقاومة.

وهكذا بدأت معاول الهدم والتخريب والحرق والسلب والنهب تعم البلاد في كافة المدن وخاصة بغداد، بمساعدة قوى التحالف نفسها التي كانت تقف موقف المتفرج على هذه العمليات التخريبية ولم تكلف نفسها حتى ولو بالمحافظة على المهم، من الوزارات والدوائر المتعلقة بالأمور الذاتية والإنسانية للبلد كدوائر النفوس والجنسية والمستشفيات وبقيت معاول الهدم مستمرة حتى يوم 20 آذار 2004 وكأنها مرسومة وبفعل عملاء قوى العدوان المدربة مسبقاً على مثل هذه الأعمال التخريبية.

خُرِّبت الوزارات والمديريات وأحرق ما تبقى منها وضاعت المستشفيات والمدارس والكليات وكل ما فيها ونهبت المصارف والمخازن الغذائية العامة والخاصة والأسواق وضاع الأمن وضاع الشعب وضاعت معه كل القيم والأخلاق والتقاليد التي كان من المفروض أن يكون هذا الشعب العربي المسلم قد آمن بها وتمسك بها وتجذرت في عروقه ودمائه خلال قرون من الزمن.

وها نحن اليوم وبعد مرور سنة كاملة على العدوان على

العراق والعراق تائه بين أيدي العملاء والمحتلين، فالقوانين ألغيت وألغي معها الدستور وقوى الجيش والأمن وحلت دوائر الدولة كلها وضاعت وضاع الشعب مع كل ما ضاع وظهر على الساحة شراذم من الانتهازيين والعملاء والسارقين وكأن المحتل نفسه أراد أن يفرغ العراق من كل مقومات الحياة الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وأصبح مستعمرة تابعة للتاج الأميركي ولكنها مستعمرة مخرّبة ينعق البوم على أطلالها المحروقة والمخربة والمنهوبة.

بدأ المحتلون يمنون الشعب العراقي بكافة فئاته المستقلة والمعارضة الواردة من الخارج أو الموجودة في الداخل بشتى الأمنيات، تارة بحكم ذاتي وحكومة موقتة بعد انتخابات دستورية، وأخرى بفترة انتقالية يقود فيها المحتلون العراق بإشراف مجلس حكم موقت يعين أعضاءه من قبل الحاكم المدني الأميركي مؤلف من الفئات الواردة من الخارج مع القوات الأميركية أو التي كانت في الداخل - مجلس دون صلاحيات - وتارة أخرى بتشكيل حكومة موقتة تدير العراق حتى يقف على قدميه ويعود إلى المنظمة الدولية خلال فترة يقررها المحتل منهم من يقول سنة أو سنتين أو يقولون حتى تستقر الأمور في العراق، كيف ومتى فالله أعلم والمحتل يعلم.

أما كيف ومتى تأخذ هذه السلطات الدستورية في العراق موقعها الدستوري وسلطاتها التنفيذية كاملة، حتى يتحقق للعراق استقلاله وللشعب حريته، وهي للآن لم تتوحد ولم تتفق على دستور تقود به البلاد ولا زالت في خلافاتها لا تدري ما يخبؤه لها المحتل من مؤامرات للقضاء عليها وعزلها وتجريدها من أي سلطة وإخضاع البلاد لسلطة يعينها هو وقوى أمن وجيش يدربه هو بإشرافه وبأساليبه هو للدفاع عن العراق شكلاً ولقمع انتفاضة الشعب العراقي حقيقةً وإجهاض مقاومته للاحتلال.

هكذا نحن الآن منذ أول يوم للعدوان في 2003/3/20 وحتى تاريخ 2004/3/20 أي بعد سنة من اجتياح العراق ودخول قوات التحالف فيه وللآن ما من أمر مستقر في هذا البلد، حيث بدأت المقاومة تشتد شيئاً فشيئاً في بغداد وكافة المنطقة الوسطى خاصة وأنها بدأت تتوسع لتشمل المناطق الجنوبية والشمالية وبفعالية عالية وبشكل أخذ يرعب القوات الأميركية وقياداتها فعلاً ولا زالت القوى التي تدّعي الوطنية والإخلاص والحرص على هذا البلد وهذا الشعب قابعة مشغولة للحصول على المكاسب والمناصب ولا تدري أو تفهم أن المحتل سوف لن يترك لها الخيار في قيادة هذا البلد رغم تصريحاته الواضحة بعدم قيام سلطة عشائرية أو دينية بل سلطة تعددية لا دينية، وبقوله إنها ديمقراطية فدرالية تحت

مظلة أميركية حتى ولو سلمت السلطة للعراقيين فهناك ما هو مخبأ لهذه السلطة الشكلية من معاهدات لتضمن بقاء القوات الأميركية في العراق إلى الأبد وعلى شكل تقرره قيادات قوات التحالف.

هكذا فالعراق وشعبه بين مد وجزر وطنيين غير قائمين على مبادئ وأسس واضحة تسندها وحدة الإرادة والأهداف وشعب منظم موحد يقوده نظام وطني ديمقراطي حر، ووفق دستور دائم يعده الشعب من خلال ممثليه المنتخبين من قبله ووفق إرادة حرة نزيهة.

ومن غير هذا فلن يكون هناك دستور وطني ولا حكومة وطنية ولا تحرر ولا استقلال ولا سيادة، خاصة وأن المحتلين قد حددوا فترة إدارتهم المباشرة للبلد وشكل الإدارة (إدارة عسكرية حتى تموز 2004 وإدارة غير مباشرة (غير محددة الأمد بعده) ويبقى العراق تحت إدارة حاكم مدني يدير شؤون البلد حسب توجهات دولته وله في كل وزارة أو مؤسسة قائم بالأعمال لتلك الوزارة وقائد عسكري يتصرف بشؤون الأمن في البلاد تحت دعوة مقاومة الإرهاب أو القضاء على فلول النظام السابق أو تنظيم القاعدة مهدداً شعب العراق وسلطته غير الشرعية.

إذا ما دامت المقاومة قائمة ومشتدة فسيكون هناك بقاء

للقوات المحتلة باسم مقاومة القوى الخارجية الداخلة للعـراق ولا ندري إلى متى سيدوم هذا النوع من الاستعمار الجديـد وفق المخطط الموضوع للسيطرة علـى المنطقـة العربيـة والشرق الأوسط تحت ظل هذه الذرائع المزعومة.

الباب الأول:

أسباب الحرب على العراق

لكل حرب مشروعة أو غير مشروعة أسباباً حقيقية يخطط لها المعتدي مثبتة في استراتيجيته الحالية والمستقبلية وأخرى أسباب ظاهرية (تبريرية) يتذرع بها المعتدي ويعتبرها أسباباً مشروعة لحربه وعدوانه محاولاً إقناع الرأي العام الداخلي والدولي بها وسنرى هذا في هذا العدوان على العراق.

الفصل الأول

الأسباب الحقيقية للحرب على العراق

الثورات والثورات المضادة

العراق بلد غني بشعبه وأرضه وثرواته وخاصة الثروة النفطية، وله ثقله السكاني الكبير وأثره البالغ الوطني والقومي في المنطقة إضافة إلى موقعه الاستراتيجي الهام في المنطقة العربية والدولية، وبعد تحرر العراق من النظام الملكي عام 1958 أصبح يشكل تهديداً للمصالح والأطماع الغربية والشرقية في المنطقة على أساس أن ثورة 1958 وطنية قام بها ضباط أحرار. لهذا بدأت الدول الغربية وفي مقدمتها إنكلترا وفرنسا وأميركا وحتى الاتحاد السوفياتي آنذاك، بالتخطيط لاستنزاف القدرات الوطنية للعراق وتحجيم تأثيراته القومية في المنطقة وخططت لإجهاض الثورة ومهدت لقيام الثورات المضادة فجاءت ثورة رمضان 8 شباط 1963 التي قام بها حزب البعث العربي الاشتراكي بالتعاون مع القوى القومية الأخرى للقضاء على ثورة تموز 1958، التي انحرفت عن مسارها القومي وتأرجحت بين الاتجاهات القومية تارة

والشيوعية أخرى والديكتاتورية الفردية تارة أخرى ولم يمض على ثورة رمضان 1963 إلا شهوراً معدودة حتى جاءت ردة تشرين 1963 التي قام بها عصبة من القوميين والطامعين والمستأثرين بالحكم وهذه لم تستمر أيضاً حتى جاءت ثورة البعث ثانية في 17-30 تموز عام 1968 التي خطط لها ونفذها حزب البعث العربي الاشتراكي بجناحيه العسكري والمدني وكانت ثورة عملاقة بيضاء جاءت لتبقى حاملة معها شعارات كبيرة جداً وفي مقدمتها شعار البعث (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة) وشعار (الوحدة والحرية والديمقراطية والاشتراكية) وقد هلل لها الشعب واستبشرت بها الأمة وساندتها كل القوى الوطنية والقومية العربية وساندها الشعب بكل قواه، فتوحدت الصفوف وراءها ووراء هذه الشعارات العظيمة التي يطرب لها كل وطني عربي أو غير عربي في العراق من شماله إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه. فمن ذا الذي لا يريد ويتمنى الوحدة لهذه الأمة؟ ومن ذا الذي لا يريد الحرية لشعوبها؟ ومن ذا الذي لا يطمع ويهوى الاشتراكية والعدالة والمساواة السياسية والاقتصادية والفكرية لأبناء شعبه وأمته؟ ومن ذا الذي لا يسعى لتطبيق الديمقراطية وحرية الرأي والاعتقاد لأبناء شعبه؟

هذه الثورات الوطنية والقومية كانت ولا زالت تعتبر تهديداً للمصالح الإمبريالية الدولية وخروجاً وتحرراً من

سيطرتها السياسية والاقتصادية والفكرية الاستراتيجية والإيديولوجية في المنطقة العربية الموصوفة بالإسلام والعروبة والغنية بثرواتها وشعوبها والجسر العظيم الخطير بين الشرق والغرب.

لهذا كله كانت هذه الثورات وسرعة التغييرات فيها تشير بوضوح إلى اليد الخفية التي كانت تعمل على إجهاض كل ثورة أو تغيير مسارها بطريقة أو أخرى لتصل بالمنطقة إلى عدم الاستقرار لأي ثورة أو تغيير لصالح شعوب المنطقة، وفي الوقت نفسه العمل على إضعاف ثقة الشعوب بثوراتها الوطنية وقياداتها على مرور الزمن والركون إلى دول الغرب للخلاص منها.

تهديد المصالح الغربية (الدولية)

بعد أن استقرت الثورة (ثورة 17-30 تموز 1968) في العراق والتفاف الشعب العراقي وجزء كبير جداً من الشعب العربي في الأقطار العربية حولها، وبعد أن أصبحت نموذجاً تحررياً يقتدى به للثورات الوطنية في المنطقة، ولأنها قامت لتحرر العراق وشعبه وتحرر اقتصاده الوطني أولاً، وامتلاك ثرواته الوطنية النفطية وغير النفطية ثانياً، ولأنها بدأت بإعمار العراق بعد أن توفرت لديها المليارات الواردة عن

تأميم النفط وبدأت ببناء البنى التحتية للعراق من تعمير وبناء للطرق والموانئ وبناء المؤسسات التعليمية وتوسيع شبكات الطرق والمياه وبناء المدارس في كل القرى والجامعات العلمية في كل محافظة وبناء القوات المسلحة وتجهيزها بأحدث وسائل القتال المتطورة ولكافة الصنوف واتجاهها نحو التصنيع المدني والعسكري.

هذا كله اعتبرته معظم القوى الإمبريالية الغربية والشرقية وخاصة أميركا وإنكلترا وبعض أنظمة المنطقة الموالية لها خروجاً على ما مسموح به في نظرها لأقطار المنطقة وخاصة الأقطار الغنية كالعراق التي كان يجب أن تبقى تابعة عميلة مستهلكة غير منتجة وتبقى حوضاً من ذهب يغرف منه الغرب ما يشاء وفي أي وقت يشاء.

وكذلك اعتبرت انطلاق العراق بثرواته وقدراته البشرية والعلمية نموذجاً خطيراً على مصالح الغرب وتهديداً لها ولأقطار المنطقة وخاصة الكيان الصهيوني بالذات وخاصة أن العراق كان يرفع شعارات مقاومة العدوان والاحتلال الصهيوني لفلسطين ويقدم الدعم السخي للشعب العربي الفلسطيني ويعمل على توحيد الجهود العربية لمقاومة الاحتلال وتحرير الشعب الفلسطيني والأرض العربية المحتلة بكل جهد ويقدم فعلاً كل إسناد معنوي ومادي له منذ بدء الاحتلال وحتى اليوم.

لهذا كله كانت القوى الإمبريالية الأميركية ومعظم الدول الغربية تعمل على إجهاض ما توقعت حدوثه في العراق من تقدم وتطور في الثروات الاقتصادية والسياسية والثقافية والعلمية والعسكرية وما سيكون تأثيره كنموذج تحرري يقتدى به لدول المنطقة وأثره على شعوبها وأنظمتها وخاصة الأنظمة الموالية لها.

إن أول ما قامت به القوى الإمبريالية هو استنزاف قدرات العراق المادية والعسكرية بالعمل على خلق الحرب الإيرانية العراقية عام 1980 والتي ندعوها (الحرب على العراق بالاستنابة) وعملت على إطالة أمدها حتى عام 1988، مما أدى إلى دفع طرفي النزاع لتقديم التضحيات الجسام المادية والبشرية خلال حرب الثماني سنوات والتي لم يكن الهدف منها العراق فقط بل وحتى إيران. هذه الحرب التي قدم فيها الطرفان خيرة شبابه ورجاله إضافة إلى المليارات التي صرفت وحرقت لإدامة هذه الحرب والتي قدرت بمئات المليارات وملايين الشهداء والجرحى والمفقودين والمعوقين في الطرفين والتي كان من المقدر لها أن تصرف لإعمار البلدين.

كانت أميركا وحلفاؤها وروسيا (الاتحاد السوفياتي ودوله) يقدمون العون لكلا الطرفين مادياً وعسكرياً وسياسياً

لغرض إدامة أمد هذه الحرب وإنهاك الطـرفين واسـتنزاف قدراتهما حتى خرجا من الحرب منهـوكي القـوى مثقلـين بالديون إضافة إلى عرقلة كل خطط التنمية التي كانـت قـد توقفت تماماً.

فهل لا يكون هذا سبباً أساسياً وحقيقياً للحرب الظالمـة على العراق والتي أعدت لها أميركا وإنكلترا؟

كذلك جاءت الحرب على الكويت والتي مهدت لها أميركا بدفعها الكويت إلى العمل على تحطـيم الاقتصـاد الـوطني للعراق بعمليتين أساسيتين الغرض منهما منع العـراق مـن استثمار وارداته النفطية لإعادة بناء ما خلفته حرب الثمـاني سنوات من دمار في البنى التحتية وتأخر خطط التنمية وذلك بما يلي:

أولاً: زيادة ضخ النفط الكويتي الذي أدى إلـى إغـراق السوق النفطية وانخفاض أسعار النفط إلى أدنى مستوى وأدى إلى انخفاض واردات العراق إلى حدٍّ خطير.

ثانياً: إلحاح الكويت ومطالبتها بالديون التي ترتبت على العراق وهو خارج من الحرب مديناً بمئات المليـارات مـن الدولارات ومحتاج إلى المعونات من الأشقاء قبل الأعداء لسد العجز الذي أحدثته الحرب في الميزانية، وتوقـف مشـاريع إعادة الإعمار والتنمية.

هذا كله دفع بالعراق إلى القيام بحربه على الكويت بعد أن ايدتها أميركا وإنكلترا وفرنسا وحتى روسيا وعدم رفضها والعمل على حدوثها مع علمها بها بل قامت بمباركتها واعتبرتها شأناً عربياً من خلال سفرائها في بغداد ووفودها وتصريحات مسؤوليها.

وهنا كانت الطامة الكبرى وإشارات الخطر التي جرّت القيادة العراقية والعراق إلى حرب ليست لصالحه ولا لصالح الأمة العربية وضد وطن عربي جار له كان من الأجدر الاحتفاظ بالقدرات العسكرية التي دمرت في هذه الحرب لاستخدامها ضد العدو التقليدي للعرب والمسلمين ضد العدو الإسرائيلي الصهيوني والتي كانت قد أعدت أصلاً لمثل هذه الأهداف القومية.

عندها تدخلت أميركا وبدأت بتطبيق المرحلة الأولى من مخططها العدواني وهو القضاء على قدرات العراق العسكرية وذلك باستحصال قرارين أساسيين من الأمم المتحدة: الأول إخراج القوات العراقية من الكويت بالقوة، والثاني فرض الحصار الاقتصادي على العراق والذي استمر عشرة سنوات واستمر حتى حرب الخليج الثاني عام 2003 والذي أنهك العراق والعراقيين كلياً وحطّم قدراته الاقتصادية.

إعادة هيكلة دولة المنطقة لما يخدم المصالح الأميركية والصهيونية

كان الهدف الأساس الذي وضعته أميركا في استراتيجيتها في المنطقة والذي كانت قد خططت له وأعدته منذ سنة 1970 هو إعادة هيكلة دول المنطقة العربية إلى كيانات صغيرة هزيلة متناثرة القوى أكثر مما هي عليه الآن قائمة على أسس طائفية وعرقية ومذهبية ودينية وعنصرية وعشائرية، وبذلك تكون قد حققت الفائقية في القوى للعدو الصهيوني في المنطقة وازالة كل تهديد ضده وفي الوقت نفسه تأمين سيطرتها على هذه الكيانات الهزيلة بسهولة واستنزاف واستثمار ثرواتها وتسخير قدراتها الاقتصادية والنفطية على غرار ما كانت قد رتبته في إنشاء دويلات الخليج العربي النفطية في ذلك الموقع الاستراتيجي والهيمنة على اقتصادها وقلبه إلى اقتصاد (وحيد الجانب) مستهلكة وغير منتجة لصالحها إضافة إلى إضعاف قدراتها على الوقوف بصف واحد بوجه المد والتوسع الصهيوني البعيد المدى على المنطقة العربية وتطبيق استراتيجية صهيون التي تقول (حدودك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل)، واستخدامها كقوة تهديد لدول المنطقة وجعلها أقوى من أي دولة عربية حتى وأقوى بالقدرات العسكرية التكنولوجية من كل دول

العرب لو اجتمعت كلها على مقاومتها، وإنقاذ الأرض العربية من احتلالها والعراق طبعاً كان من الدول العربية المهددة لهذا المخطط الخطير فكان ولا بد من إضعافه مع السنين وبالتالي القضاء على قدراته وقوته وإزاحة النظام الحاكم فيه.

تضييق الطوق الاستراتيجي على القوى الشيوعية في الصين

إنه العامل الاستراتيجي الخطير الذي عملت ولا زالت أميركا تعمل على تطبيقه كما عملت تجاه الاتحاد السوفياتي، وبعد أن انتهت من القضاء على الأنظمة الشيوعية في دول أوروبا الشرقية التي كانت تدور في فلك الاتحاد السوفياتي السابق، جاءت لحظة ودور العمل على الاستمرار في تطبيق استراتيجيتها هذه في إحكام الطوق على الصين بالزحف به نحو الشرق وبدأت في تثبيت نفوذها في المنطقة العربية فجاءت حربها على أفغانستان ودخولها باكستان التي فتحت أراضيها أمام القواعد الأميركية وقواتها وأساطيلها حتى أصبحت الحدود الشرقية للصين الكبرى مطوقة بالقوات الأميركية وقواتها الحليفة، وتحت غطاء مقاومة الإرهاب وجرت الدول الأخرى للتعاون معها في تنفيذ هذا المخطط.

في الوقت نفسه هيمنت أميركا على القدرات النووية لكل

من الباكستان والهند الدولتان الكبيرتان النوويتان المحيطتان بالصين من الجنوب والغرب وأصبحت تتحكم بقدراتهما النووية بل وعملت على مساعدتهما في تطويرها أملاً في استخدامها مستقبلاً.

هذا المخطط الخطير والكبير الاستراتيجي يحتاج إلى عمق استراتيجي وإلى تمويل اقتصادي كبير لا بد أن تتحمله أميركا وإلى تمويل اقتصادي مادي يتطلب مليارات الدولارات عليها تأمينه وخير مصدر لهذا التمويل هو النفط في العراق وإيران ودول الخليج، إضافة إلى هذا كان عليها أن تؤمن قاعدة رصينة تسند هذا الطوق وتكون منطقة تمويل وانطلاق له في آن واحد.

لهذا السبب الاستراتيجي كان لا بد أن تبدأ بتنفيذ مخططها في السيطرة على دول المنطقة مبتدئة بالعراق لتغيير النظام فيه والسيطرة عليه ثم الاتجاه نحو إيران وسوريا لسببين أساسيين:

الأول: تأمين العمق الاستراتيجي لعملياتها الاستراتيجية المقبلة للقضاء على الشيوعية في الصين.

الثاني: تأمين الموارد اللازمة لتمويل تنفيذ هذا المخطط الاستراتيجي القديم الجديد والدائم والكبير.

لهذا كله كان هذا العامل أساسي ودافع مهم للعدوان على

العراق وسبباً جوهرياً وحقيقياً لاحتلاله عسكرياً وبالقوة ولا بد أن يكون هذا الاحتلال لأمد طويل خاصة بعد أن عملت على إعداد عدد كبير من عملائها دربتهم في الخارج على أعمال التخريب والحرق والنهب والتدمير وفتحت لهم أبواب العراق ومدنه ومؤسساته وبناه التحتية ليعملوا فيها تدميراً وحرقاً وسلباً ونهباً ليبقى العراق والعراقيون بحاجة تامة لمساعدتها لإعادة النظام وإعادة الإعمار، لما خربته بمبالغ يدفعها العراق مكافأة لها وبذلك تكون كل عائدات النفط تحت سيطرتها ويبقى العراق أعزلاً ضعيفاً لأمد بعيد جداً.

فرض مفهوم القوة العظمى الوحيدة في العالم

الأسباب الحقيقية التي رفعت شعارها أميركا وعملت لها هي الهيمنة على العالم وتعميم سياستها المبنية على استراتيجية (القوة الوحيدة) أو (القوة العظمى) المسيطرة على العالم والقضاء على كل نظرية أخرى كمبدأ أو نظرية مثل نظرية (السلام العالمي) أو (استراتيجية التعايش السلمي) أو حتى استراتيجية (السلام بالردع)، وحتى (استراتيجية التوازن الدولي) لمنع الحروب مستخدمة القوة والحرب كأسلوب لإخضاع دول العالم الثالث ومن ضمنها دول الشرق الأوسط العربية الهزيلة القدرات، والمفككة الأوصال وربط مصيرها سياسياً واقتصادياً وحتى حضارياً بالفلك الأميركي المبني

على استراتيجية العولمة التي تستغلها أميركا وتعمل على تعميمها في العالم للقضاء على الحضارات الأخرى وعلى سيادة الدول، مبتدئة بتطويع دول أوروبا الشرقية ثم الانتقال إلى دول الشرق الأوسط العربية والإسلامية بدءاً ببعض الدول العربية في الجزيرة العربية وشمال افريقيا. حيث تمكنت من ربطها بعجلة السياسة الأميركية ثم جاء دور العراق باسم التحرير وتحت شعار تحريره من الديكتاتورية ونشر الديمقراطية بالقوة.

كل هذا جاء لتغيير المفاهيم الوطنية والقومية والدينية في هذا البلد وستتابع أميركا تطبيق مفاهيمها هذه على باقي دول المنطقة، خاصة النفطية منها والمسلمة ومحاربة المعتقدات القومية والدينية (القومية العربية والإسلام)، وعن طريق العولمة تلغي كل المبادئ والمعتقدات وتقضي على الحضارات الأخرى في دول المنطقة وربطها بحضارة واحدة هي الحضارة العالمية الأميركية وإلغاء هوية الشعوب العربية والإسلامية باسم هذه (العولمة) لا حرصاً منها على تطوير هذه الدول والمجتمعات بل لفرض السيطرة عليها وربطها بمصالحها هي.

إن قيام أميركا بالحرب على العراق حتى وبدون موافقة مجلس الأمن والأمم المتحدة والرأي العام الدولي والشعبي

جاء مثالاً حياً لمنطق تطبيق استراتيجية القوة العظمى المنفردة في العالم، وما هي إلا مقدمة لاحتلال دول أخرى في الشرق الأوسط وغيره بعد أن تعمل على إضعاف مقوماتها السياسية والأمنية والاقتصادية واستنزاف قدراتها من خلال الفوضى السياسية التي تخلقها وترعاها في هذه البلدان، وإسناد القوى الانفصالية فيها بحجج كثيرة متذرعة بالديمقراطية مرة وبحقوق الإنسان مرة أخرى، والعولمة تارة والقضاء على الديكتاتورية تارة أخرى، والغرض من هذا كله إدخال هذه البلدان في دوامة الخلافات الدينية والعرقية والعنصرية لأجل استنزاف قدراتها بخلق الحروب بالاستنابة والعصيان والاقتتال بين الفئات أو تدبير عمليات الإرهاب والتخريب وتغذية عناصره كما حدث في أفغانستان والشيشان ويحدث الآن في الجزائر والسودان وحتى في مصر والسعودية الحليفتين التقليديتين لها.

ثم بعد أن تكون هذه الدول قد أضعفتها الحروب الداخلية وأنهكتها عسكرياً واقتصادياً، تتقدم أميركا لتنفيذ أهدافها السياسية من خلال هذه الفوضى السياسية والاقتصادية والإدارية في تلك الدول كمنقذ أو محرر لهذه الشعوب فتضرب الأنظمة الوطنية وتهيمن على هذه الأقطار وخاصة تلك الأقطار الغنية بمصادر الطاقة الاقتصادية النفطية أو ذات

الموقع الاستراتيجي المؤثر الذي يخدم استراتيجيتها (استراتيجية القوة العظمى) التي يجب أن تسيطر على مقدرات هذا العالم مهددة مصالح الدول الكبرى الأخرى وتطويقها أو تطويعها وإجبارها على الخضوع لسياستها هذه والهيمنة على مقدراتها من خلال التفوق الاقتصادي (النفطي خاصة) والتحكم بمقدراتها وسياستها وإجبارها على السير في فلكها السياسي والاقتصادي وحتى العسكري والعلمي والحضاري وبذلك تضمن كونها (القوة الوحيدة الجانب) المهيمنة على العالم ومقدراته.

إذاً فأميركا تتبع مبدأ ضرب الضعيف صفعة قوية تكون مثلاً لردع القوى الأخرى من دول المنطقة أو دول العالم دون الدخول في حرب عالمية ثالثة قد لا تجد لها فيها حليف، وهذه هي استراتيجية الحرب الرادعة دون استخدام القوة ضد الدول الكبرى وفعلاً كان اتباع أميركا لهاتين الاستراتيجيتين قد خلق وزرع الكره والبغضاء في نفوس معظم دول وشعوب العالم ضدها وخاصة دول منطقة الشرق الأوسط وسوف لن تجد لها حليفاً يناصرها عن ثقة وإيمان بنواياها.

مخطط خبيث ذكي ولئيم تسعى إليه أميركا شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى المرحلة النهائية في تطبيقه دون حرب شاملة ألا وهو (إنشاء القوة العظمى الوحيدة في العالم) أي خلق

ديكتاتورية القطب الواحد في العالم وعند هذا سوف تتدحرج إلى السفح والحضيض إن كتب لها أن تصل إلى هذا الهدف مثلها كمثل الإمبراطوريات والديكتاتوريات الدولية التي سبقتها وحلمت للوصول إلى نتائج تطبيق هذه الاستراتيجية التي بدأ العالم كله يعرفها ويتعاون على عرقلة تطبيقها والوقوف بوجه من يحاول تبنيها بشتى الطرق. فاليوم هو ليس بالأمس الذي حاولت فيه بعض الدول مثل (ألمانيا بقيادة هتلر وروسيا بقيادة ستالين ومن تبعه) والتي كانت تحلم للسيطرة على العالم باستخدام القوة أو نشر إيديولوجية معينة، والذي أدى إلى سقوطها وكان أول من وقف ضدها بالأمس هي أميركا نفسها وإنكلترا العجوز التي ذاقت لوعة آثارها عليها يوم كانت إمبراطورية.

الفصل الثاني

الأسباب الظاهرية للحرب على العراق

اعتادت أميركا وحلفاؤها في تعاملهم مع الدول العربيـــة ودول الشرق الأوسط وبلدان العالم الثالث الأخرى على خلق الأسباب الظاهرية التبريرية للعدوان على هذه الدول وخاصة الأسباب التي يمكن أن تؤثر ليس على مصالحها هي فقط، بل على مصالح دول أخرى في أوروبا من أجل تــأمين الــرأي العام العالمي المؤيد لذلك العدوان، وكانت أهم الأسباب التي تذرعت بها ما يلي:

أسلحة الدمار الشامل المزعومة

إن نظرية تحريم امتلاك أسلحة الدمار الشامل المحظورة إلا على الدول الكبرى فقط (أميركا – إنكلتــرا – فرنســا – روسيا – الصين) ومنع الدول الأخرى من امتلاك حتى التي تستخدم للأغراض السلمية، لأجل إبقاء هذه الــدول متــأخرة تكنولوجياً، وأن امتلاك أي دولة أخرى لهــا يعتبــر خرقــاً للقانون الدولي وعدم خضوع لوكالة الطاقة الدولية، مـــع أن

معظمها كانت تخضع لرقابة تلك الوكالة ومتقيدة بنظامها والمعاهدات المفروضة عليها.

ولكن أميركا استخدمت ذريعة امتلاك العراق أو نيته بامتلاك هذه الطاقة للأغراض العسكرية واعتبرته خروجاً على استراتيجيتها في المنطقة واتهمت العراق بامتلاكه أسلحة الدمار الشامل للأغراض الحربية واعتبرتها كذريعة للعدوان عليه رغم ثبوت عدم امتلاك العراق لمثل هذه الأسلحة بل وتدمير ما وصل إليه منها للأغراض السلمية من قبل لجان التفتيش ورغم قرارات لجان التفتيش التي وافق العراق على قيامها بالتفتيش لأشهر وسنين عدة، لم تعثر هذه اللجان على أسلحة دمار شامل في العراق حسب اعترافات كل رؤساء لجان التفتيش قبل العدوان وبعده بعدم ثبوت امتلاك العراق لمثل هذه الأسلحة ولا حتى أي برامج لإنتاجها وتأكيدها خلوه منها.

إلا أن أميركا وإنكلترا بقيتا تصران على ادعاء امتلاك العراق لمثل هذه الأسلحة قبل عدوانها وبعده وحتى اليوم واعتبرته سبباً أولاً لفرض الحصار على العراق لمدة ثلاثة عشر سنة، وثانياً اتخاذه سبباً أساسياً ومبرراً للعدوان على العراق وتدمير كافة طاقاته في حربها عليه في 2003/3/20 واستمرارها بالتفتيش وحتى اليوم وبعد مرور سنة على

الاحتلال لم تتوصل إلى ما يثبت ادعائها من أجل اعتباره سبباً ليس للعدوان فقط بل لإبقاء الاحتلال إلى المدى الذي تقرره، هذا المدى الذي تحكمه السنين التي تتطلب إحكام سيطرتها على العراق سياسياً، أولاً بتنصيب حكومة موالية لها وإقامة برلمان منتخب بإشرافها وتحت سيطرة دباباتها وطائراتها وتشريع دستور جديد تثبت بنوده حكومة مفروضة وبرلمان معين من قبل سلطة الحكم الأميركية فكيف سيكون ذلك الدستور وكيف ستكون تلك الحكومة التي ستقود البلاد دون انتخاب من برلمان مفروض ومعين غير منتخب من قبل الشعب.

أما الشعب العراقي فمتى وكيف سيصوت على هذا الدستور أو ينتخب هذه الحكومة، يقولون بعد إنشاء الدستور الدائم تقوم حكومة دائمة منتخبة تمثل الشعب. كيف ومتى سيحدث هذا إذا كان للآن البلد في هذه الفوضى الأمنية والسياسية والاقتصادية والإدارية والقوات الأميركية جاثمة على صدره.

إذا كان هذا السبب المعلن للحرب (امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل المزعومة) لا يتحدد بزمن ولا بسنين إذ لا زالت قيادات إنكلترا وأميركا تصران على وجوده ولا زالت تعتبره سبباً مباشراً للعدوان وسيبقى سبباً لبقاء هذا

الاحتلال إلى الأمد الذي يحقق للمحتلين الأهداف الحقيقية كاملة وفي مقدمتها (إبقاء العراق مستعمرة أميركية تابعة مطيعة ومنفذة لكل مخططاته ومشاريعه في المنطقة وفي مقدمتها الابتعاد والانعزال عن أي تعاون قومي عربي ثم الاعتراف بالكيان الصهيوني والتعامل معه وغض النظر عن سياسة تغلغله في المنطقة والعراق بالذات خاصة وأن هذا التعاون والتغلغل الصهيوني كان قد تواجد في المناطق الشمالية الكردية منذ عام 1991 بمساعدة القوى الكردية في شمال العراق والآن بدأ ظهوره على الساحة العراقية من خلال تعهدات الشركات الصهيونية ومشاركتها في مشاريع إعمار العراق وبأفضلية عالية.

تهديد العراق لمصالح دول المنطقة

أين هو العراق الذي كان يهدد مصالح الدول المجاورة في المنطقة وماذا كانت قدرته أمام ذلك التيار الإمبريالي الأميركي المهيمن على قيادات الدول العربية المجاورة سواءً التي في الخليج أو الجزيرة العربية أو في شمال أفريقيا، تلك الدويلات التي ربطت مصيرها ومقدراتها بالولايات المتحدة الأميركية، وحتى أن بعضها اعترف بالكيان الصهيوني بأمر منها واستسلم كلياً للاستراتيجية الأميركية، وأين ذلك التهديد

والأساطيل والقواعد الأميركية جاثمة بأعداد ضخمة في قواعد على أرض معظم تلك الدول.

إذاً فالتهديد الذي كانت تدعيه أميركا كان ليس للدول المجاورة بل على العكس كان فعلاً تهديداً للكيان الصهيوني، باعتبار أن العراق هو أقوى دولة عربية متحررة في المنطقة ذات طاقات عسكرية عالية يقف أمام سياسة أميركا في المنطقة وأمام العدوان الإسرائيلي الصهيوني في فلسطين حالياً وأمام مخططاته المستقبلية التوسعية باتجاه دول أخرى مستقبلاً.

إذاً هو مخطط ذو حدين الأول بسط الهيمنة الكاملة على دول المنطقة المتحررة والتي وصفتها أميركا (بدول الشر) (العراق وسوريا وإيران). والثاني هو التمهيد لتصفية القضية الفلسطينية والقضاء لصالح العدو الإسرائيلي على الانتفاضة الفلسطينية التي استنزفت وأجهدت الاقتصاد الصهيوني وهددت أمنه وتأمين الظروف لهذا الكيان لاستعادة أنفاسه استعداداً لعملية توسعية كبرى على الساحة العراقية والساحة السورية وحتى الإيرانية.

إذاً هو سبب ظاهري ليس لإنهاء النظام في العراق فحسب بل هو سبب مبرر لتنفيذ مخطط صهيوني منفذ بقوى أميركية لتحقيق أهداف صهيون الكبرى والتي تسير بخطى مرسومة تُنَفَّذْ مراحلها بالتتابع بعد الإعداد لها بعمليات تأهب

ثم وثوب ثم تأهب آخر ووثوب آخر والعرب وحكامهم نائمون وقادتهم في سبات عميق يتظـاهرون بـأنهم لا يسـتوعبون الاستراتيجية الأميركية الصهيونية.

فمن إذاً يشكل التهديد علـى المصـالح، أَهُـمْ العـرب والعراق في المقدمة أم أن أميركا والصهيونية هما التوأمـان اللذان يشكلان التهديد لمصـالح الأمـة العربيـة والعـرب والمسلمين في كل مكان.

ثم أليس هم البادئون بالعدوان، إذاً فهم الذين زرعوا روح العداء والكراهية لدى العرب والمسلمين لكل ما هو أميركي منذ البدء بالاحتلال الصهيوني لفلسطين وإسنادهم الدائم والمسـتمر للعدوان الصهيوني على مدى نصف قرن وحتى اليوم.

فمن إذاً هو المهدد للمصالح أهو المعتـدي أم المعتـدى عليه؟ ومن يا ترى هو هذا المعتدي؟ أهو العـراق أم هـي أميركا وقوى التحالف التي غزت العراق حتى بعد معارضة المجتمع الدولي على لسان الأمم المتحـدة ومجلـس الأمـن وجاءت بأساطيلها وقواتها عبر البحار.

عجيب هذا الزمان الذي أصبح فيه المعتدي يكون معتدى عليه والمعتدى عليه يوصف فيه بالمعتدي وهكذا أصبح هـو منطق القوة وقانون الغاب الذي تذرعت به أميركا وحلفائهـا في العدوان على العراق.

تحرير العراق من النظام الديكتاتوري

هكذا كان ولا زال الأميركان وحلفاؤهم يلصقون بكل نظام أو شعب يريد التحرر والاستقلال والخروج من دائرة هيمنتهم بأنه نظام ديكتاتوري وخارج على حقوق الإنسان وعلى السلام، متذرعين بهذه النعوت التي يلصقونها به متناسين إرادة الشعوب ومتخذين مثل هذه الادعاءات ذريعة للتدخل في الشؤون الداخلية للشعوب وسلب حريتها والعدوان عليها والقضاء على سيادتها واستقلالها.

فإذا كان الحكم في العراق ديكتاتورياً وهذا ما لا نعترض عليه أما كان للشعب العراقي المعروف بقوة شعبه وصعوبة رضاه على حكامه القدرة على معالجة شؤونه الداخلية والقضاء على تلك الديكتاتورية وهو المعروف بانتفاضاته وإحداث التغييرات التي تحقق طموحاته عندما لا يرضى على حكم ليس بصالحه لا أن يستجير بقوى أجنبية معروفة بعدائها لشعب العراق وللأمة العربية بأن تقوم بالتغيير نيابة عنه بقواتها وأساطيلها الجوية والبحرية وصواريخها وأسلحتها المحرّمة وبأسلوب همجي وحشي تدميري يحرق الأخضر واليابس ويعيد البلد إلى العصور المظلمة.

فأي معادلة هذه التي يقبلها أيّ واعٍ مخلص لبلده وشعبه بأن يأتي بالاحتلال الأجنبي لتحرير شعبه ويصدق أن هذا

المحتل سوف يحرره حقاً ويمنحه حقوقه وحريته وديمقراطيته.

ومتى رأينا أو سمعنا أن قوى أي قوة احتلال تأتي عبر المحيطات من أجل عيون شعب من الشعوب؟

ثم من قال إن الأجنبي المحتل يقدم على تغيير نظام بلد مثل العراق ليحرر شعبه دون ثمن ولأجل عيون حفنة من الناس عاشوا في أحضان المحتل نفسه تاركين الساحة العراقية خالية من كل مناضل ونضال ضد النظام الديكتاتوري إن كانوا مناضلون حقاً كما يقولون وأنهم أصحاب وطنية حقة حريصون على الوطن وشعبه.

إن التحرير لا يمكن أن يكون بالاحتلال الأجنبي ولا بالاستجارة بعدو معروف بعدائه للعرب وشاهراً عداءه وحربه على الإسلام والمسلمين ولا يكون بذلك الشكل من التدمير الشامل الذي دمر العراق وشعبه والذي لم يستثن هدفاً مدنياً كان أو عسكرياً ويدمر كافة البنى التحتية كبيرها وصغيرها حتى شل كل مقومات الحياة في العراق، فأي تحرير هذا الذي تدعيه قوى الاحتلال والذي حرق العراق أرضاً وشعباً وممتلكات عامة وخاصة دون تمييز.

وها نحن في نهاية السنة الأولى على العدوان والاحتلال والعراق وشعبه لا يجد مكاناً لتستقر فيه أجهزة الدولة المعاد

تشكيلها والشعب تائه بين آراء وأفكار ممثلي المحتل (حاكم مدني وآخر عسكري) شخص أو لجنة أميركية تخرج كل يوم بفكرة أو قرار لا يؤدي تطبيقه إلى ما يطمح به الشعب العراقي ولا يحقق أي درجة من الحرية والديمقراطية بل بالعكس يحد من هذه الطموحات ويهضم الكثير من الحقوق ومثلاً على ذلك قرار إلغاء الجيش العراقي وقوى الأمن والدفاع الوطني وإلغاء قانون الأحوال الشخصية المشتق أصلاً من الشريعة الإسلامية.

فأين هي تلك الحرية التي وعدنا بها الأجنبي المحتل؟ أو من أتى معه وعلى ظهور دباباته وطائراته، بعد أن دمر العراق باستخدام أشد الأسلحة فتكاً وحتى المحرمة منها ضد شعبه والتي اعترف باستخدامها وزير دفاع الدولة المحتلة نفسه.

أين الحرية ومئات الآلاف من موظفي الدولة والقوات المسلحة العراقية سائبون عاطلون دون عمل أو وظيفة أو حتى مقر يستقر فيه ذوو العمل منهم فيه لأداء واجباتهم.

أين هي الحرية التي جاءت من أجلها قوى الاحتلال وأعوانه والآلاف من أبناء الشعب بل الملايين عاطلون دون عمل ولا مصدر عيش حتى تحول البعض منهم إلى النهب والسلب والسرقة والعدوانية ضد كل شيء وفي المقدمة المحتل نفسه.

أين هي الحرية وأكثر من نصف مليون مقاتل عسكري وقوى الأمن تائهون في أرض الله بعد أن سرّح جيشهم بشخطة قلم وحرموا من حقوقهم الشرعية أو التقاعدية فماذا يتوقع منهم غير الحقد والكراهية والعدوانية للمعتدي المحتل والقيادة المتعاملة معه.

أين هي الحرية ولا يستطيع الفرد أن يمشي حراً في دربه وبلده أو يأمن على بيته أو حتى أولاده من الخطف، فلا أمن ولا أمان ولا قوى أمن قادرة على أن تحميه أو حتى أن تقبل شكواه.

أين هي الحرية والتحرير وآلاف من أبناء الشعب انقلبوا إلى عصابات وسراق طلباً لعيش حتى ولو لم يكن عملهم هذا مشروعاً بعد غياب الأمن وتأخر تشكيل قوى الأمن بالشكل الذي يؤمن فعلاً قيام هذه القوات بحفظ الأمن فعلاً لا لحماية المستعمر والمحتل وانتهاك الحرمات عوضاً عنه.

أين الحرية التي جاؤوا بها أو جاؤوا من أجلها، والشعب لا يستطيع أن يرفع صوته أو ينتخب من يمثله إلا بعد سنين يقدر أمدها وعددها المحتل أو ممثلوه في الحكم في مناطق العراق الشمالية والوسطى والجنوبية).

أين هي الحرية والعراق وشعبه مرسوم له أن يُقسّم إلى دويلات عشائرية أو دينية أو مذهبية أو قومية. في الشمال

الأكراد والوسط السنة والجنوب الشيعة. ذلك التقسيم الذي لم نكن نسمع أو نشعر به في أي وقت أو زمان حتى في زمان الحكم الذي يقولون عنه نظام ديكتاتوري، بل كان العراق وحدة واحدة لا تتجزأ ومن كان يسعى إلى هذا كان يعتبر خائناً للوطن وللأمة.

أين هي الحرية والعراق يراد به أن ينسلخ عن الوطن العربي والأمة العربية، وهذا ما ورد في الدستور الموقت الأخير والقاضي بأن (العرب في العراق جزء من الأمة العربية) وليس العراق كله، من أجل سلخه عن وطنه العربي وأمته العربية.

ثم من قال إن أميركا أتت إلى العراق عبر المحيطات محررة وهي تقدم شبابها قتلى وجرحى كل يوم على أيدي المقاومة العراقية لكي تخرج دون ثمن ولأجل سواد عيون العراقيين ومن جاء معهم من المتحالفين والمتعاونين معهم.

فليفكر رجالات العراق المخلصين منذ الآن بالوسيلة التي كانوا يمنون أنفسهم بها لإنقاذ الشعب العراقي دون التفريط بحرياته عندما يحكمونه تحت مظلة الاحتلال (باسم الواقعية والأمر الواقع) ويفكرون كيف عليهم أن يعملوا على توحيد الصفوف وجمع كلمة كل العراقيين ويبتعدوا عن عمليات الانتقام والتصفية ومحاربة الناس بأفكارهم ومعتقداتهم

وحرياتهم باسم التحرير، مثل تأسيس الهيئة العليا لاجتثاث حزب البعث. فالفكر لا يجتث إلا بفكر أفضل منه لا بالتصفية البشرية أو الاعتداء على الحقوق الإنسانية والشرعية للفرد. وليعلموا أن الوطن الذي يعيشون فيه أو يحكموه هو العراق، والذين يعيشون على أرضه هم العراقيون المعروفون بعدم التسامح مع من يفرط بحقوقهم إن لم يكن اليوم فسيكون الحساب غداً. وعليهم أن يعملوا بحرية دون تدخل الحاكم المدني الأميركي أو إدخال بنود في دستوره يحقق للمعتدي الهيمنة والاستقرار في العراق إلى الأبد أو أن يعطى الشرعية لتجزئة العراق وسلخه عن وطنه العربي الكبير وأمته العربية.

ثم أين ذاك القائد أو الرئيس أو الملك الذي ستنصبه أميركا من حريات الشعب إن لم يكن هذا القائد وحكومته وبرلمانه منتخباً انتخاباً حراً وديمقراطياً من قبل الشعب بكافة فئاته السياسية الوطنية وعلى أسس دستورية دون تدخل أجنبي أو تحت مظلته.

ساعد الله العراق والعراقيين إذا كان أياً منهم قد استوعب بأن أميركا جاءت محررة. وساعد الله من آمن بأن التحرير من ظالم أو ديكتاتور لا يتم إلا على أيدي ديكتاتورية دولية أجنبية مثل أميركا وإنكلترا اللتان جاءتا لتبقيا أرضي هؤلاء

أو لم يرضوا، فأمامهما مهام أخرى في المنطقة غير العراق وسيعتبر العراق منطقة وثوب لاحتلال دول أخرى باسم مثل هذه الأسباب التبريرية الطائفة على السطح، لإقناع المغفلين من دعاة الوطنية ولإقناع من أغفل الله قلبه وعقله وفكره ووجدانه وأعمى عيونه عما يقوم به المحتلون كل يوم من قتل وتشريد وإهانة لأبناء الشعب العراقي الأبي وأن لا يكون أميركياً أكثر من الأميركيين أنفسهم وأن لا ينسى الوطن والعروبة والإسلام كوطن وقومية ودين.

الباب الثاني:

الحرب على العراق

الفصل الأول

خطة الطرفان

1 – خطة القوات العراقية للدفاع عن العراق

قسمت القيادة العراقية العراق إلى أربعة مناطق دفاعية:

- المنطقة الأولى: المنطقة الجنوبية.
- المنطقة الثانية: المنطقة الوسطى.
- المنطقة الثالثة: المنطقة الشمالية.
- المنطقة الرابعة: منطقة بغداد وضواحيها.

المنطقة الجنوبية:

شملت هذه المنطقة الدفاع في وعن المحافظات (البصرة – القادسية – ميسان – ذي قار).

خصص للدفاع في هذه المنطقة فيلقان متكاملان يقودهما قادتها وأمراؤها العسكريون الجيدون ولكن كان القائد الأعلى

لهذه المنطقة فريق ركن غير عسكري (ذو رتبة فخرية) ليس لديه أي خلفية عسكرية ولا تتناسب خبرته مع المنصب الذي عيّن فيه ولا تتناسب وثقل الحرب التي ستخوضها القوات التي بقيادته في المنطقة.

كانت حدود مسؤولية هذه القوات هي الدفاع عن العراق في المنطقة الجنوبية التي شملت المحافظات المبينة أعلاه وتمّ نشر تشكيلات الفيلقين على كل هذه المنطقة الواسعة آخذة مواضع دفاعية ثابتة معدة جيداً ضد أي تعرض معادي جوي أو أرضي وعلى محوري نهري دجلة والفرات، المحور الأول (البصرة – العمارة – الكوت) والمحور الثاني (البصرة – الناصرية – السماوة).

اعتمدت هذه القوات في دفاعها على هذين المحورين على ما تيسر لديها من وسائل الدفاع الجوي المحدودة لا بتعدادها أو قوتها ولكن بنوعيتها وقدرتها على مواجهة المعدات الأميركية المتقدمة والمتطورة. وتعتمد على القوات المدرعة الفاقدة لمبدأ الحركة والمرونة تجاه قوات آلية ومدرعة حديثة في القدرة والتسلح والمتمتعة بحرية الحركة الكاملة تحت غطاء جوي وصاروخي متطور دقيق فعال.

المنطقة الوسطى:

شملت هذه المنطقة الدفاع في وعن المحافظات (الحلة – كربلاء – النجف – الكوت) وعلى محوري دجلة والفرات حتى ضواحي بغداد.

خصص للدفاع عن هذه المنطقة فيلق واحد زائد قوة من الحرس الجمهوري آخذاً مواضعه الدفاعية في المحافظات القريبة من بغداد (محافظة كربلاء).

عين لهذه المنطقة قائد عام مدني أيضاً لا يكاد يفهم شيئاً عن الحرب والقتال وأيضاً برتبة فريق فخرية.

كانت حدود مسؤولية هذه القوات الدفاع في مناطق المحافظات المبينة أعلاه ومنع تقدم القوات المعادية باتجاه منطقة بغداد.

اتخذت هذه القوات مواضع دفاعية على المحاور الرئيسية على محور (الحلة – كربلاء – النجف) وعلى محور (الكوت – بغداد). كانت تلك المواضع ثابتة معدة جيداً والقوات متحصنة فيها بشكل جيد جداً تحاشياً للتعرض الجوي والصاروخي الثقيل المعادي – إلا أنها كانت محرومة من عاملين أساسيين للدفاع الفعال هما المرونة والحركة والمناورة كسابقاتها ولا تتمتع بإسناد جوي مناسب يضمن لها

حرية مواجهة القوات الأميركية المتقدمة باتجاهها أو التي تتخطّاها.

المنطقة الشمالية:

خصص لهذه المنطقة فيلقان جيدان وأيضاً يقودهما قائد عام مدني برتبة عسكرية فخرية لا خبرة لديه بأساليب القتال والقيادة في الحرب الحديثة ولا عنده القدرة على مواجهة أو إدارة مثل هذه القوات وفي مثل هكذا حرب وتحت تأثير مثل هذا الثقل الناري المعادي.

كانت وسائل القتال المتيسرة لدى هذين الفيلقين تؤهلهما للقتال في المناطق الجبلية ولا تعتمد على معدات آلية أو مدرعة مناسبة وليس لديها إسناد جوي مناسب أبداً.

يفصل جبهتها نهر دجلة الذي يعزل منطقة مسؤوليتها إلى منطقتين، الأولى منطقة المحافظات (كركوك والسليمانية وأربيل ودهوك) والثانية منطقة المحافظات (صلاح الدين نينوى والموصل) منطقتان واسعتان الأولى تحت سيطرة الأكراد والثانية تحت سيطرة هذين الفيلقين وهي منطقة واسعة جداً من الحدود السورية حتى نهر دجلة وتشمل البادية الشمالية الشرقية العراقية.

المنطقة الحيوية بغداد:

شملت هذه المنطقة الدفاع في الضواحي المحيطة ببغداد من كافة الاتجاهات واعتبرت من أهم المناطق الحيوية باعتبارها ستواجه العدو في آخر مراحل هجومه الحيوي والذي بعدم ثباتها ومقاومتها ستكون نهاية الحرب المتمثلة بسقوط بغداد، لهذا خصص لها أقوى وأحدث القوات التي يملكها العراق وهي قوات الحرس الجمهوري المشكّلة على شكل قوات متجفلة (جحافل معركة) تمتلك أحدث وأقوى المعدات ويتمتع مقاتلوها بقدرات وكفاءة عالية جداً اكتسبوها في حربنا مع إيران (حرب القادسية) خلال ثمانية سنوات ولهذا حشدت حول بغداد وكان ثقل تحشدها باتجاه محور نهر الفرات لمجابهة القوات المعادية المتقدمة من الجنوب والجنوب الشرقي ولمجابهة القوات المظلية أو المحمولة جواً التي قد تنزل حول بغداد في الشمال والشرق.

ولكن كانت تلك القوات تحت قيادة مدنية على رأسها قائد مدني لا خبرة له في الحرب ولا خبرة له في القتال مع قادة محترفين مدربين ذوي كفاءة عالية.

كانت هذه القوات تفتقر أيضاً إلى عامل المرونة والحركة لأنها كانت محرومة من وسائل الدفاع الجوي الفعالة ولا غطاء جوي فعال يؤمن لها حرية المناورة.

وكانت مهمتها تفرض عليها التفرق وأخذ المواضع حول بغداد وفي ضواحيها في كافة الاتجاهات والتي لم تكن تتعدى الأربعة جحافل معركة تعادل كل منها فرقة مجهزة جيداً ولديها قوات مدرعة حديثة وإسناد أرضي عالي المستوى وفعال.

وكان قد قدر لها أن تكون مدربة على التغيير والانقلاب والتحول إلى قوات لها قدرة على القتال في المدن ومواجهة تعرض القوات الأميركية في قتال الشوارع.

الدفاع في المدن:

للدفاع عن العراق قررت القيادة العراقية العامة اللجوء إلى حرب المدن والشوارع والقتالات الخاصة عند فشل القوات العراقية في منع القوات الأميركية من التقدم ودخولها المدن الرئيسية معتمدة على أمرين:

الأول: قلب وتحويل القوات المسلحة النظامية إلى قوات خاصة مقاتلة في حرب المدن والشوارع وحرب العصابات وتكبيد الأعداء أكبر ما يمكن من الخسائر.

الثاني: الاعتماد على مشاركة ميليشيا الحزب التي كانت قد أعدت ودربت وسلحت بأسلحة خفيفة ومتوسطة ومشاركة الشعب معها في قتالات الشوارع والمدن ومنع العدو من

دخول المدن والنواحي بسهولة وإيقاع أكبر ما يمكن من الخسائر به.

إلا أن كلا الطرفين، القوات المسلحة وميليشيا الحزب لم يكن لهما القدرة والكفاءة ولا مدربين مسبقاً وجيداً ولم تكن منظمة بتشكيلات وقيادات قتالية مسبقاً لكي تتمكن من الدخول في مثل هذه القتالات، ولهذا فشلت عند أول صدمة أو أي ضربة جوية وخاصة في المنطقة الجنوبية والوسطى أو في منطقة بغداد نفسها.

الملاحظات حول الخطة العراقية للدفاع عن العراق:

1. فصل القوات العراقية بقيادات أربع مستقلة أفقدها أهم عوامل النجاح في الحرب وهي (التنسيق والتعاون والمرونة) في استخدام القوات وفق المواقف السوقية أو التعبوية التي تفرضها الحرب، فقد كانت القوات العراقية في الجنوب تقاتل العدو المتفوق عليها في الأرض والجو وتستنزف قدراتها وباقي القوات في المناطق الأخرى تنتظر وتتفرج على انهيارها وهزيمتها أو القضاء عليها.
2. هذا الفصل بالجبهات والقوات أدى إلى الخروج عن مبدأ (التحشد والاقتصاد بالقوة) حيث أعطيت المناطق نفس القدرات القتالية دون النظر إلى أهمية المناطق المسؤولة

عنها ودون النظر إلى حجم تلك المنطقة أو زخم العدو فيها أو حيويتها، إذ كيف يمكن أن تكون أهمية وحيوية المنطقة الجنوبية (البصرة) كأهمية وحيوية المنطقة الشمالية. لهذا رأينا انهيار الجبهة الجنوبية دون أن يتم إسنادها أو تعزيزها لإدامة قدرتها على منع تطور الهجوم المعادي بعد القضاء على قدراتها.

3. فقدان عامل المرونة والحركة للقوات المدرعة العراقية ضمن المنطقة الواحدة وانعدامها تماماً لتحدد حركتها وفقدان المرونة في حركة القوات المقاتلة في مواضعها أو إلى مواضع أخرى لمواجهة تطورات المعارك، ودفن هذه القوات المدرعة وغير المدرعة في مواضع دفاعية ثابتة حول المدن الرئيسية جعلها محدودة القدرة على مواجهة هجمات العدو الجوية والصاروخية، وهدفاً سهلاً لها وأدى إلى وقوع خسائر كبيرة بالقوات العراقية قبل التماس وأثر على معنوياتها وأدى إلى ترك الكثير منها مواضعها، فأصبحت هدفاً سهلاً لطيران العدو فتضاعفت الخسائر وانهارت المعنويات كلياً وانهارت معها المواضع الدفاعية، وانكشفت المدن أمام العدو وفقدت السيطرة على القوات وضاعت السيطرة وغابت القيادات.

4. جهل القيادات العامة للمناطق وعدم قدرتها على إدارة

الحرب في مناطق مسؤوليتها، وعدم إلمامها التام وتوقعها لخطة العدو في الحرب أدى إلى إصدار أوامر وقرارات مرتجلة لمواجهة هجمات العدو الأرضية والجوية وتحديد قدرات القيادات الدنيا العسكرية ذات الخبـرة لاسـتخدام قدراتها على مواجهة المواقف.

5. فقدان السيطرة المركزية للقيادة العامة للقوّات المسـلحة وقيادات المناطق على مجرى الحوادث وإدارة المعـارك في المناطق الأربع، لفقدان الاتصـالات نتيجـة التفـوق التكنولوجي الأميركي وإعمائه لكافة وسـائل الاتصـال اللاسلكية للقوات المسلحة العراقية، وقدرتها على استمكان أماكن تلك القيادات عند استخدامها لوسـائل الاتصـالات وهذا أدى إلى فقدان السيطرة لمعالجة تطورات الحـرب على الساحات كلها.

6. اعتماد القيادة العامة العراقية مبدأ قلب الحرب النظاميـة إلى حرب قتالات خاصة، وقتالات المدن والشوارع لـم يظهر للوجود على كافة الساحات لعدم تنظيمهـا مسـبقاً وإعداد القوات لمثل هذا الأسلوب بشكل جيد وعدم تدريب القوات النظامية والميليشيات والشعب أصلاً على مثل هذا النوع من القتال.

7. والملاحظ والمهم والأهم من كل هذا هو سوء وجهل تقدير

القيادة العامة للموقف فرغم معرفتها لقدرات العدو العالية وخاصة التكنولوجية وتفوقها الجوي والصاروخي قبلت دخول الحرب معه دون النظر أو التفكير بحلول سياسية شجاعة لتحاشي الحرب، وإلا فما الغاية من قبول الحرب وهي تعلم أنها ستكون خاسرة والخسارة فيها ظاهرة بوضوح قبل الدخول فيها ومنذ زمن بعيد.

2 – خطة دول التحالف للعدوان على العراق

كانت خطة دول التحالف للهجوم على العراق قد أعدت منذ سنة 1991 بعد حرب الخليج الأولى (حرب الكويت) وبُدء بالإعداد لها وحشد القوات ورسم الخطط والممارسة عليها خلال العشر سنوات التي سبقت الحرب.

كانت الخطة قد أعدت على أساس التقدم من اتجاهين الأول من الشمال (من تركيا) والثاني من الجنوب (من الكويت)، ونظراً لعدم موافقة تركيا على دخول قوات التحالف بلادها للهجوم على العراق عبر حدودها معه، غيرت دول التحالف خططها واقتصر التقدم من الجنوب فقط كالآتي:

أولاً: تتقدم القوات البريطانية عبر الكويت باتجاه أم قصر والفاو والاتجاه نحو البصرة على محورين.

- الأول: محاذي لشط العرب والثاني على الطريق البري (الفاو – البصرة) أي أن هدفها الحيوي هو احتلال منطقة البصرة.
- الثاني: تتقدم القوات الأميركية عبر حدود الكويت باتجاه الناصرية دون المرور بمنطقة البصرة على محور (الكويت – الناصرية – الديوانية – الحلة – كربلاء – النجف حتى الهدف الحيوي النهائي (بغداد) معقبة الطريق السريع البري البعيد كلياً عن المدن الرئيسية وبقوتين.

الأولى: لاحتلال كل من منطقتي الناصرية والسماوة والديوانية ثم الحلة وكربلاء والنجف.

الثانية: (وهي الرئيسية) للتوجه بكامل القوة الرئيسية وبالتنسيق مع مجرى الحوادث والحركات لقيادات القوة الأولى إلى بغداد معقبة الطريق البري السريع بعيداً عن المدن. وبعد إنهاء القوات المكلفة باحتلال المدن الجنوبية واجباتها وتأمين أهدافها، تجتمع كل القوات المهاجمة لإعادة التنظيم وتستعد للدخول في المعركة الحيوية الرئيسية في منطقة بغداد.

ثالثاً: بعد إكمال كل من القوتين البريطانية والأميركية احتلال أهدافها والسيطرة على مدن المنطقة الجنوبية كاملة وتأمين طرق مواصلاته بدقة تتوجه

القوات الأميركية الرئيسية للدخول في معركة احتلال بغداد.

رابعاً: خطط لأن يكون الهجوم على بغداد من الاتجاهات الأربعة من الجنوب والشرق والغرب ومن الشمال على أن تكون الأسبقية والأهمية في الهجوم على المنطقة الحيوية في بغداد (منطقة المطار الدولي في غرب بغداد والقصور الجمهورية القريبة منه). أما الهجوم من الاتجاهات الأخرى فكان لفرض إجبار القوات العراقية على التبعثر وتثبيتها في مواقعها على تلك الجبهات الأخرى وتكبيدها الخسائر وهي في مواضعها بالقوات الجوية والصاروخية.

خامساً: بعد إكمال احتلال بغداد وإسقاط النظام تتجه القوات الأميركية إلى الشمال معقبة الطريق السريع إلى الموصل واحتلال المدن الكائنة عليه بالتعاقب.

سادساً: لم تتبّت القوات الأميركية في خطتها احتلال المدن (كركوك وأربيل) ولم تكلف نفسها التوجه إليها لأنها اعتمدت على الميليشيا الكردية الموجودة فيها لتأمين ذلك.

سابعاً: كانت الخطة معتمدة على الأمور التالية:

1. الاعتماد الكلي على المعلومات الدقيقة التي تيسرت لها عن خطة القوات العراقية المدافعة في المناطق الدفاعية

الأربع (الجنوبية والوسطى والشمالية وبغداد) واستغلال ما فيها من الثغرات وعملت على تعزيز هذه الثغرات وفي مقدمتها (توزيع القوات العراقية على مناطق أربعة وانعدام التعاون والتنسيق بينها) وزادت من تأثير هذا العامل وعملت على زيادة انعزال القوات العراقية في كل منطقة عزلاً تاماً بتعطيل أو إسكات الاتصالات وبعمليات الإحاطة والتخطي والقصف الجوي والصاروخي الكثيف.

2. الاعتماد الكلي والعالي على عمليات التجريد بضرب الأهداف الأرضية والاستخدام العالي للقوات الجوية والصاروخية وتحديد التعاون بين القوات في كل جبهة أو منطقة.

3. تحاشي الدخول في معركة أرضية فاصلة مع القوات العراقية البرية وتحاشي التعرض لنيرانها منعاً للخسائر البشرية التي قد تصاب بها قواتها.

4. الاعتماد على إحجام بعض القيادات عن المواجهة والتعامل معهم قبل الحرب وضمان قيامهم بالتراجع أو عدم المقاومة في كثير من المناطق وخاصة القادة المسؤولين عن القوات المدافعة عن بغداد والموصل.

هذه كانت العوامل التي اعتمدتها قوات التحالف والتي كان لها التأثير البالغ في تسهيل مهمتها في تنفيذ الخطة دون خسائر تذكر وبوقت قياسي والتي كان في مقدمتها عمليات التجريد والقصف الجوي والصاروخي الكبير والثقيل للأهداف وفي حرية الحركة لقواتها تحت هذا الغطاء الفعال.

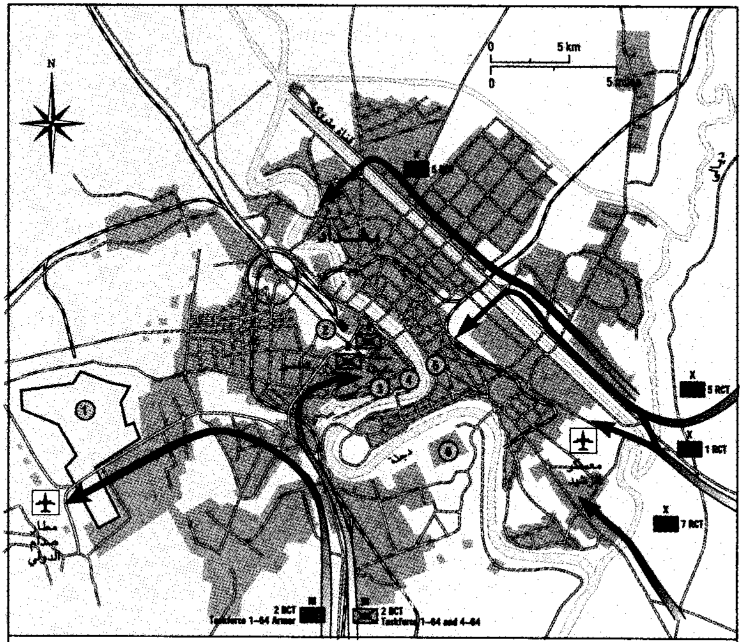

معركة بغداد

2 نيسان 2003

اتجاه الهجوم الأميركي الرئيسي

5 نيسان، الهجوم الأول

7 نيسان، الهجوم الثاني

٨ نيسان، فرقة المارينز

(1) موقع قصر الرضوانية الرئاسي

(2) مركز سكة الحديد

(3) المراكز الرئيسية لحزب البعث

(4) مواقع الحرس الجمهوري

(5) موقع انزال تمثال صدام في 19 نيسان

(6) موقع تكرير النفط الدورة

المطار

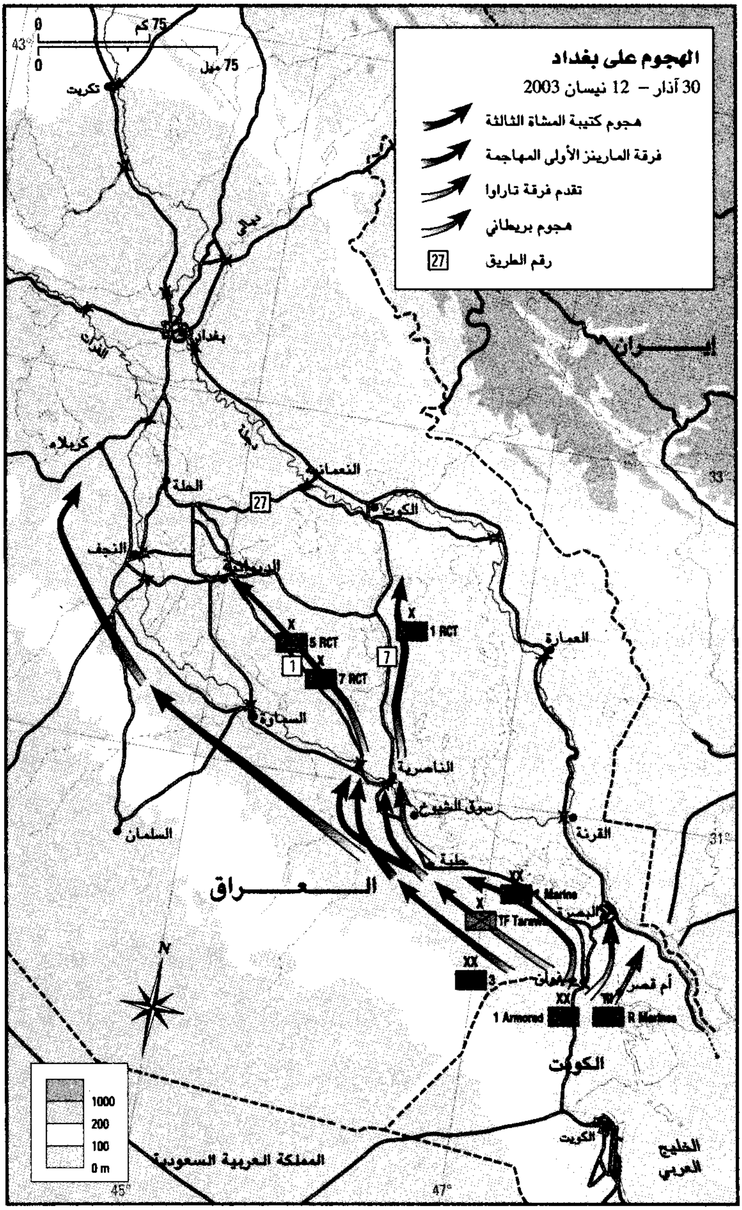
الهجوم على بغداد
30 آذار – 12 نيسان 2003
هجوم كتيبة المشاة الثالثة
فرقة المارينز الأولى المهاجمة
تقدم فرقة تاراوا
هجوم بريطاني
رقم الطريق
75 كم
75 ميل
تكريت
بغداد
كربلاء
الحلة
النعمانية
الكوت
النجف
الديوانية
5 RCT
7 RCT
1 RCT
العمارة
السماوة
الناصرية
سوق الشيوخ
القرنة
السلمان
العــــــراق
البصرة
أم قصر
1 Armored
R Marines
الكويت
الخليج العربي
المملكة العربية السعودية
1000
200
100
0 m

الفصل الثاني

سير الحرب ومجرى الأحداث

(راجع الملحقين (أ و ب) المرفقين)

بعد إنذار 48 ساعة أعطته قوات التحالف للعراق ابتداءً من يوم 2003/3/18 حتى نهاية يوم الأربعاء 2003/3/19 طالبة من العراق تنازل الرئيس صدام حسين بدون قتال ومع انتهاء هذه المدة في الساعة الخامسة من صباح يوم الخميس 2003/3/20 دقت صفارات الإنذار في بغداد معلنة بدء الحرب على العراق بقصف جوي وصاروخي على بغداد وكل مدن العراق الأخرى وعبرت قوات التحالف حدود العراق وكما يلي:

القصف الجوي والصاروخي المعادي

نطلق عادة على عمليات القصف الجوي والصاروخي في الحرب بعملية التجريد، هذه العملية شملت كافة المدن العراقية مستهدفة تدمير البنى التحتية في العراق، المواصلات والاتصالات والمنشآت العسكرية والمدنية، المعسكرات

والمعامل ودوائر الدولة الرئيسية العسكرية والمدنية والبدالات والإذاعات الداخلية والخارجية والجسور والطرق الرئيسية ومحطاتها والقصور الرئاسية ودوائر الدولة الأمنية والوزارات كافة عدا وزارتي النفط والتصنيع.

كانت عملية التجريد هذه قاسية وهمجية مستمرة منذ يوم 2003/3/20 حتى يوم احتلال بغداد في 2003/4/9 دون هوادة أو توقف ولم يبقَ في أرض العراق منشأة مدنية أو عسكرية وحتى خدماتية إلا ودمرت كمنشآت الماء والكهرباء والنفط والغاز والنظافة وتكررت الهجمات عليها حتى أصبحت أنقاضاً وبدت عملية التجريد (التدمير) هذه وكأنها عملية مقصودة لا للقضاء على الأهداف العسكرية والقوات بل عملية تدمير الغرض منها إقعاد العراق على أنقاض ما بناه خلال عمره وإرجاعه إلى عهود القرون الوسطى فلم يسلم من القصف هذا حتى الدور السكنية والشعب نفسه.

كانت حرب جوية قاسية من جانب واحد إذ لم يكن للعراق أي سلاح مضاد لهذه الطائرات والصواريخ المنصبة على الأهداف المدنية قبل العسكرية ودون التفريق بين رجل أو امرأة أو طفل وأوقعت بالعراقيين المدنيين خسائر أكبر مما أوقعته بالقوات المسلحة العراقية في الجنوب والوسط والشمال وكان تأثيرها أكبر من مما تحدثه أي قنبلة ذرية استخدمت في

العالم إضافة إلى استخدام الأسلحة المحرمة التي تحتوي على القنابل العنقودية والمتعددة الانفجارات واليورانيوم المنقب (النظيف) الذي أطلق عليه وزير دفاع أميركا (بالنظيف) واعترف باستخدامه.

وهكذا أصبحت مدن العراق جمرات من نار خلال هذه المدة. جمرات ملتهبة أحرقت كل أرض العراق وما عليها من إنسان وحيوان ونبات لا زالت آثارها حتى اليوم وستبقى إلى سنين طويلة لما استخدمته أميركا من أسلحة محرمة في هذا العدوان.

تقدم القوات البريطانية

دخلت القوات البريطانية أرض العراق صباح يوم الخميس 2003/3/20 من أرض الكويت وبدأت بالتعرض للقوات العراقية في (أم قصر) و(الفاو) أول مدينتين عند الحدود العراقية الكويتية، ولاقت مقاومة شديدة جداً من قبل الفرقتين الخامسة والحادية عشر واستمرت المعارك على محور (أم قصر – الفاو – البصرة) حتى يوم 2003/4/4 ولمدة (14) يوماً حتى تمكنت القوات البريطانية من احتلال البصرة وفرض سيطرتها عليها وتفتتت القوات العراقية المدافعة في منطقة البصرة واندثرت أشخاصاً وأسلحة ومعدات، ودخلت

القوات البريطانية البصرة وفرضت سيطرتها على المدينة والمنطقة المحيطة بها وكان هذا هو واجب القوات الإنكليزية في المراحل الأولى، ثم تقدمت بعد استقرار الوضع في البصرة إلى منطقتي العمارة على محور نهر دجلة.

تقدم القوات الأميركية

اجتازت القوات الأميركية حدود العراق من الكويت صباح يوم الخميس 2003/3/20 معقبة المحور الجنوبي الغربي باتجاه الناصرية والسماوة على محور الفرات. لاقت مقاومة جيدة في منطقتي الناصرية والسماوة تاركة قوة مناسبة لمعالجة الموقف فيها واحتلالها، متجهة بالقوة الرئيسية نحو منطقة الحلة والنجف وكربلاء حيث دخلتها دون مقاومة مهمة لتعاون العائدين معها من إيران واتصالهم بالمتعاونين معهم في الداخل.

أما القوات العراقية في هذه المناطق فقد قاومت بشدة إلا أنها أصيبت بخسائر كبيرة نتيجة القصف الجوي لها، وهي في مواضعها الدفاعية أو عند تطويرها لخطط دفاعها وعند تحريك القطعات وفقاً للتغييرات التي فرضها الموقف واستمرت المقاومة حتى يوم 2003/4/7.

أما الرتل الرئيسي الأميركي المكلف بالهجوم على بغداد

فقد استمر بالتقدم نحو بغداد ووصلها يوم 2003/4/4 أي في اليوم الخامس عشر من الشروع بالعدوان، واصطدم بالقوات العراقية المكلفة بالدفاع عن بغداد في الغرب والجنوب والشرق على محوري نهري دجلة والفرات ودارت معارك ضارية في ضواحي بغداد وأوقعت هذه القوات خسائر كبيرة بالقوات المعادية حتى وصلت المعارك إلى حدود بغداد في منطقة ضاحية المحمودية والاسكندرية والمطار الدولي في الأيام 4 و5 و2003/4/6 يوم الإثنين وفي يوم 2003/4/7 طرقت القوات الأميركية أبواب بغداد بعد أن أبادت القوات المدافعة باستخدامها الأسلحة المحرمة في منطقة المطار الدولي. دخلت القوات الأميركية بغداد من عدة اتجاهات من الغرب من اتجاه (الفلوجة – بغداد) ومن الجنوب من اتجاه (المحمودية – الإسكندرية) ومن الشرق على (محور نهر دجلة باتجاه جسر ديالى على نهر ديالى).

كان هدف القوات الداخلة من محور المحمودية بغداد هو المنطقة الخضراء (منطقة القصور الجمهورية) والقوات الداخلة من الغرب (على محور الفلوجة – مطار بغداد الدولي) هدفها السيطرة على المطار والاتجاه إلى قلب بغداد (منطقة جانب الكرخ) والقوات الداخلة من الشرق (من جسر ديالى) هدفها جانب الرصافة القسم الشرقي من بغداد.

في يوم الأربعاء 2003/4/9 سيطرت القوات الأميركية على أهدافها الحيوية (المطار والقصور) وهيمنت على بغداد بجانبيها الغربي (الكرخ) والشرقي (الرصافة)، وانتهت مقاومة قوات الحرس الجمهوري والقوات الخاصة تماماً بعد أن تركت سلاحها ومعداتها وآلياتها في شوارع بغداد، وكانت العملية كأنها عملية هزيمة لا مقاومة - هزيمة يشم منها رائحة الخيانة الكبرى من قبل قيادات الحرس الجمهوري نفسه - والتي كانت العمود الفقري لقوات الدفاع عن بغداد، فلم يكن من المتوقع أن تسقط بغداد في يومين إلى ثلاثة أيام وبهذا الشكل المؤلم من القتال، فلم تكن مقاومة فعالة عنيدة من مثل هذه القوات الجيدة والمدربة وذات الخبرة القتالية العالية ومن دون أن توقع خسائر مناسبة بالعدو. هذا ما شاهدناه من المناظر المأساوية في الشوارع وعلى محيط بغداد أسلحة ثقيلة مبعثرة ودبابات صالحة، وناقلات مدرعة صالحة متروكة وعليها سلاحها وعتادها، وحاملات صواريخ متناثرة في زوايا الطرق وحتى البعض منها كانت الصواريخ الضخمة فوق منصاتها معدة للإطلاق ولم تطلق، والسيارات والآليات هنا وهناك.

كانت القيادات والمقاتلون قد تواروا وتناثروا مختفين بين الدور، لهول الضربات الجوية التي نزلت بهم طيلة أيام الهجوم ولا يمكن أن يصدق أي عسكري أن هذه القوات قد

تركت ساحة الحرب بملك إرادتها، بل إنهـا تركتهـا بـأمر من مصدر ما من القيادات وفق ترتيبات منسقة متفق عليهـا بين تلك القيادات والعدو، ليس في وقت بدء المعارك بل من وقت بعيد قبلها. ويؤكد هذا ما شـاهدناه مـن عـدم إعـداد الساحات الدفاعية حول بغداد وفيها، بما تتطلـب المعـارك الدفاعية.

هكذا سقطت بغداد واختفت القيادات العليا وحتى الـدنيا العسكرية والسياسية وأصبحت البلاد دون حكومة ولا أمن ولا نظام وعمت الفوضى وعمليات النهب والسلب والحرق لكـل ما هو حكومي أو خاص. وكنا نرى بغداد تحترق بأيدي من لا يمكن أن يكونوا من أبناء هذا البلد أبداً بل كانت قوة منظمة قد تمّ تدريبها وإعدادها لمثل هذه الأعمال التخريبية مستهدفة البنى التحتية دون تفريق بين عام وخاص، مبتدئة بالوزارات والمديريات العامـة والمخـازن والمسـتودعات الحكوميـة والجامعات والكليات والمعاهد والمدارس وكل ما كان يسمى دائـرة رسـمية، وحتـى دوائـر النفـوس والأحـوال الشخصية والجنسية وحرقت كل المستمسكات التـي كانـت فيها وكأنهم كانوا يريدون طمس المعـالم الحضـارية لهـذا البلـد وطمـس هويـة شـعبه. فكانـت معركـة وحـرب بالاستنابة حيث أكملت هذه الفئات عملية الإجهاز على العراق وشعبه نيابة عن القوات المسلحة الأميركيـة ورفعـت عـن

كاهلها تعب ومسؤولية هذا التخريب، وكانت عملية تخريب سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي فلم يبقَ لابن الشعب حتى ما يثبت هويته أو ملكيته أو ما يعيش عليه أو يعيش لأجله.

هكذا أرادوا أن تمسي بغداد والمدن الرئيسية الأخرى، وهكذا أرادوا أن يصل الوضع بالإنسان العراقي في وطنه.

بعد سقوط بغداد توجهت القوات الأميركية نحو المنطقة الشمالية مبتدئة بمنطقة مدينة (سامراء وبلد) ثم تكريت وتوقفت فيها لأنها كانت مسقط رأس صدام حسين وكان من المقرر أن تدك وتخرب أكثر من غيرها وكان أيضاً من المتوقع أن تجد مقاومة شديدة فيها.

وأما باتجاه الغرب في منطقة محافظة الأنبار فقد اتجهت قوات أخرى بعد تصفية بغداد نحو احتلال المدن (الفلوجة والرمادي) على محور نهر الفرات ولاقت هناك مقاومة شعبية متناثرة وتمكنت من بسط سيطرتها عليها لخلوها من أي قوات عراقية، ولكن كان يجب أن تسيطر عليها لأنها واقعة على الشريان الرئيسي الذي يربط العراق بالأردن.

أما في المنطقة الشمالية فقد تمّ التفاوض مع قادة القوات

في محافظتي (الموصل والتاميم) وتمّ تسليم القوات دون قتال. ولكن ومع الأسف أن هذه القوات استسلمت هي وقادتها دون أن يكلفوا أنفسهم لحماية معسكراتهم وأسلحتهم ومعداتهم بل تركوها للسلب والنهب والتخريب ولم يكن التسليم نظامياً ولا منظماً بل كان هروباً بكل معنى الكلمة تماماً، وكان القادة والأمراء هم السباقون وتبعهم المقاتلون تاركين كل شيء للميليشيات الكردية التي دخلت الموصل ونهبت كل مخلفات الفيلقين المستسلمين الموجودين في هاتين المنطقتين.

بذلك تمت للقوات الأميركية السيطرة على المنطقة الشمالية أيضاً دون قتال ولا خسائر تذكر.

هكذا كانت الحرب والمعارك بين الطرفين وأعلنت قوات التحالف انتهاء الحرب على العراق رسمياً في 2003/4/9.

الباب الثالث:
عوامل النجاح والفشل

الفصل الأول

عوامل فشل القوات العراقية

لم تكن هناك بشائر لـــدى كـــل المـــراقبين والبـــاحثين العسكريين والسياسيين منذ البداية على نجاح القوات العراقية وقدرتها على مقاومة العدوان الأميركي والدفاع عن العراق. فقد قررت القيادة العراقية قبول الحرب مع أكبر دول العـــالم قوة وتقدماً تكنولوجياً في الحرب، من حيث إعـــداد القـــوات وتجهيزها بأحدث الأسلحة والمعدات التكنولوجية والعمل على عدم قبول الخسائر البشرية واســـتخدام الضـــربات الجويـــة والصاروخية، وتجريد القوات المقابلة من كل طاقاتها علـــى الثبات وتمهيد ساحات القتال لقواتها لدخول المعارك صغيرة كانت أم كبيرة بحرية تامة ودون مقاومة معادية فعالة وبأقل خسائر ممكنة.

هذا ما كان يجب أن تتوقعه القيادة العراقية وتعمل على تحاشي مثل هذه الحرب بأي ثمن وبأي أسلوب لهـــذا كانـــت أسباب الفشل واضحة منذ البداية وقبلها وكما يلي:

الجهل السياسي للقيادة العراقية السياسية

لما كان دخول الحرب هو قرار سياسي باستخدام القوات المسلحة، كان على القيادة العراقية السياسية والعسكرية العليا القيام بدراسة موضوعية لنوايا الطرف المقابل دراسة دقيقة وافية وإعداد الأجواء السياسية الوطنية والقومية والدولية للعمل على تحاشي استخدام القوة لحل المشاكل بين الطرفين وعدم الدخول في الحرب بأي ثمن، ما دام تقدير الموقف (إن كان قد أجري بأمانة وإخلاص ودقة وشجاعة من السياسيين والعسكريين المعنيين) يدل على أن قرار الدخول في الحرب مع هاتين الدولتين القويتين (إنكلترا وأميركا) قرار غير صائب لعدم توازن القوى أولاً، ولأن العراق بحاجة إلى الزمن والمال لكي يديم البناء والإعمار ومقاومة ما خلفه الحصار الاقتصادي.

الظاهر أن القيادة السياسية العراقية لم تكن تستمع لأي نصح أو إرشاد من كثير من الدول العربية والدولية التي كانت تعتبر صديقة أو التي كانت تعتبر أن مصالحها ستكون في خطر بسبب انفراد أميركا وإنكلترا باحتلال العراق والسيطرة على المنطقة والانفراد في استثمار خيرات العراق وفي المقدمة النفط.

وكذلك لم تعمل القيادة العراقية على إعداد الرأي العام

الوطني والقومي والدولي للدول العربية والدول المجاورة أو البعيدة والأوروبية، ولم تعمل على كسب هذا الرأي والتأييد أو التعاطف إلى جانبها بشكل فعال وواقعي ولم تأخذ هذا الجانب بنظر الاعتبار معتمدة على قوتها الدبلوماسية التي كانت ضعيفة ضحلة، بل وقد عادت الكثير من دول المنطقة وفي مقدمتها دول الخليج بعد حربها على الكويت والتي كان على القيادة أن تتوقع أن دول الخليج ستكون مناطق حشد ووثوب سوقية للقوات الأميركية عبر الحدود الكويتية والسعودية من جنوب العراق.

وما كانت معارضة فرنسا وألمانيا وروسيا للعدوان على العراق إلا لأن مصالحها أصبحت في خطر وخاصة النفطية منها وليس بفعل اتفاقات سياسية أو دفاعية مع هذه الدول، لهذا وجدنا هذه الدول تتراجع عن معارضتها عند أول خطوة قبول من دول التحالف لمشاركتها في اقتسام كعكة العراق بعد العدوان وانصياعها بل وسكوتها عما جرى ويجري في العراق وحتى الأمم المتحدة ومجلس الأمن.

هذا كله كان على القيادة العراقية أن تعرفه وتحسب حسابه ولكن الجهل السياسي والعنجهية السياسية وغرور القيادة دفعها إلى قبول الحرب.

انعدام توازن القوى بين الطرفين

إن توازن القوى بين طرفي أي نزاع عسكري مبدأ أساسي من مبادئ الحرب، فقد كان الفرق في القدرة القتالية كماً ونوعاً واستخداماً بين الطرفين كبيراً جداً ويميل إلى جانب قوات التحالف وكما يلي:

أولاً: التفوق الجوي والصاروخي المتقدم والمتطور والفعال لقوى التحالف حيث لم يكن للعراق أي تواجد جوي قطعاً ولا أي أسلحة مناسبة متقدمة لمقاومة الهجمات الجوية والصاروخية المعادية.

ثانياً: التجهيز والتسليح المتطور والعالي المستوى في التأثير والدقة لدى المقاتل الأميركي وعلى عكسه عند المقاتل العراقي الذي كانت تجهيزاته وأسلحته بدائية إذا ما قورنت بما عليه عند المقاتل الأميركي.

ثالثاً: التدريب العالي للأفراد في قوات التحالف وعلى عكسه عند الأفراد في القوات المسلحة العراقية.

رابعاً: الإسناد المدفعي والصاروخي الدقيق والكثيف والمؤثر والغطاء الذي يقدمه للقوات المهاجمة الأميركية.

خامساً: تفوق قوات التحالف في استخدام المروحيات المتطورة في الإسناد أو نقل المحمولين من قوات الكومندوز.

سادساً: والأهم من كل هذا هو تفكير قيادات قوات التحالف التعبوية والسوقية في التخطيط للحرب وإدارتها بشكل مدروس ومتأنٍ مضمون النتائج وتنفيذها بشكل دقيق من قبل القيادات الميدانية لكسب الحرب بأقل ما يمكن من الخسائر البشرية والمادية مع إيقاع أضخم الخسائر بالقوات العراقية وتعجيزها بما يحقق عدم قدرتها على المقاومة الفعالة والمؤثرة تعبوية أو سوقية.

التحشد واستخدام القوة

هذا المبدأ، هو من أهم مبادئ الحرب وأهميته تظهر أكثر في الحرب الحديثة لأنه يؤدي إلى كسب الحرب بأقل ثمن ويضمن النجاح بعد أن يكون قد ضمن التفوق السوقي والتعبوي في الميدان للقوات التي تحسن استخدامه. فالنجاح بالحرب لا يعتمد اليوم على الكتل البشرية أبداً بقدر ما يعتمد على قدرة الجانبين على تحشيد النوع المناسب من القوات والمعدات وحسن استخدامها وفق خطط مناسبة وبإسناد معدات متطورة تعوض بقدرتها عن الأعداد البشرية ويمهد الميدان لها ويوصلها إلى أهدافها بأقل خسائر.

فالقيادة العراقية كانت في موقف مضطر لأن تعتمد على ما تيسر لدينا من قوات مشاة وآلية ودروع غير متطورة

وكذلك كانت مضطرة على طول جبهتها (من الفاو – البصرة – بغداد – الموصل) وعمق هذه الجهة إلى ما يعادل (1200 كيلومتر) إلى توزيع قواتها بقيادات مستقلة جنوبية ووسطى وشمالية، عدا منطقة بغداد التي اعتبرت منطقة مستقلة وكل من هذه الجبهات تمثل ميدان حرب لوحده. لهذا أصبحت بعد أن وزعت قواتها على هذه الميادين الأربعة هزيلة وجامدة وضعيفة، خاصة وأنها لا تمتلك ذلك الإسناد الأرضي المتقدم والإسناد الجوي الحديث ولا غطاء جوي يعينها على الحركة والمرونة لمواجهة تطورات المعركة فأصبحت جامدة في مواضعها لا تستطيع تغيير مواضعها وإلا تعرضت للقصف الجوي الكثيف وهذا ما حدث.

لهذا التوزيع الخاطئ والتحشد غير الصحيح انفردت قوات التحالف المهاجمة بكل ميدان من الميادين الأربعة الواحد تلو الآخر، أولاً في الجنوب ثم في الوسط ثم بغداد ثم وأخيراً الشمال الذي استسلمت فيه القوات العراقية بعد أن تمّ احتلال بغداد وعلى عكس هذا كانت قوات التحالف تعالج الميادين بما يناسبها من قدرات وتحتفظ بالجهد الأكبر والأقوى والأشد فتكاً لاستخدامه في ميدان المعركة الرئيسية (بغداد).

المناورة والمرونة في استخدام القوات

إضافة إلى عدم التكافؤ بالقوى لدى الطرفين وإضافة إلى

خطأ القيادة العراقية في حشد القوات والاقتصاد في استخدامها في جبهات القتال الأربعة، فقد خسرت عامل المرونة في الحركة لمواجهة تحركات قوات التحالف في استخدامها للمتيسر لديها من القوات باتجاه الهجمات المعادية منذ بدء التعرض المعادي في الجنوب أو الوسط، فقد كانت قوات التحالف حرة في تحركاتها باتجاه القوات العراقية الجامدة في مواضعها الثابتة الدفاعية وإذا ما حاولت تغييرها كانت تنكشف أمام الضربات الجوية والصاروخية وبذلك تكون القوات العراقية معدومة القدرة على المناورة والحركة معاً وفقدان هذه القدرة يحرمها من مواجهة القوات الأميركية التي لم تكن أكثر عدداً منها إلا أنها كانت حرة وتتمتع بقدرة عالية على المناورة.

وقد استثمرت قوات التحالف هذا الجمود في المواضع الدفاعية واتخذتها أهدافاً سهلة لضرباتها الجوية والمدفعية وكثيراً ما كانت تخصص لها قوات مناسبة وتتعداها لأهداف أخرى متقدمة وتبقيها مقبورة في مواضعها الدفاعية.

الجهل التام للقيادة العسكرية والمدنية في إدارة الحرب

أولاً: إن توزيع وبعثرة القوات العراقية على أربع مناطق منعزلة وبقيادات عامة جاهلة (مدنية ذات رتب عسكرية

فخرية) أفقدتها أهم عامل من عوامل النجاح في الحرب وهو عامل (التعاون والتنسيق) بين قوات المناطق الأربعة وقياداتها والتي اكتشفها وعرفها العدو وعمل على تعزيز هذه الثغـرة في الخطة العامة العراقية وعمل باستمرار على تعزيز انعزال قوات المناطق بعضـها عـن بعـض بالضـربات الجويـة والصاروخية ومشاغلة كل منطقة بقـوات خاصـة مناسـبة وإبقائها مشغولة عن باقي المناطق. هذا إن كانت تستطيع كل منها التعاون مع الأخرى أو أن تكون القيادة قد خططت لمثل هذا التعاون.

ثانياً: إن جهل القيادات الميدانية نفسها وضعفها وعـدم شجاعتها واستماتتها في سبيل الشرف العسكري، والسبب أن القيادة العليا السياسية كانت قـد أبعـدت وحجـزت القـادة المحنكين والمخلصين وذوي الخبرة القتالية والذين بهم ربحت حرب الثماني سنوات مع إيران، حجزتهم في تنظيمين سمت الأول (منظمة المحاربين) والثاني (منظمة النخوة) وعـزلتهم عن مهنتهم ولم تسـتدعهم لاسـتلام القيـادات والتشـكيلات واعتمدت على قادة أحداث كانت قد قفّـزتهم بالرتـب التـي تؤهلهم ليكونوا بمستوى قادة ومعظمهم كانوا ضباطاً صغاراً في الحرس الجمهوري أملاً منها بأنها قد كسبت ولاءهم.

ثالثاً: مع ذلك البذخ بالعطاء للقادة دون حساب وتمييـز

بعضهم عن البعض الآخر والفرق الشاسع في الرواتب بين ضباط الرتبة الواحدة، وبين شاغلي المناصب الواحد عن الآخر فترى الضابط في الرتبة الواحدة يتقاضى من الرواتب والمميزات أكبر بكثير وأضعاف ما يتقاضاه قرينه الآخر في الحرس الجمهوري أو قوات الأمن الخاص. وهذا أدى إلى:

1. اغتناء كبار الضباط من قوات معينة (كالحرس الجمهوري أو درجات معينة في الجيش النظامي) وثرائهم الفاحش فعزت عليهم روحهم وحرصهم على ثرواتهم فلم يقدم ما كان يجب أن يضحي به للوطن وحرص على مال الدنيا وترك التضحية بالاستشهاد في سبيل الآخرة.
2. الحقد الدفين والمكتوم والمتنامي لدى بعض القادة والضباط وضباط الصف والجنود من جراء اختلاف الرواتب والامتيازات الذي أدى إلى عدم الحرص والاندفاع وحتى الاخلاص والتضحية في القتال والدفاع الصحيح عن الوطن، فلم يقاتل المقاتل ولم يقد القائد كما كان ينبغي.
3. هذه الفئات هي التي تركت ساحات القتال عند الصدمة الأولى وانهزمت فضاعت وضيعت معها الجيش والشعب والعراق.

عدم التخطيط لإعادة تنظيم واستخدام القوات المنسحبة

لم يكن هناك ما يشير إلى التخطيط لإعادة تنظيم واستخدام القوات المنسحبة من الجبهة تحت ضغط العدو وفي كافة المستويات وإعدادها لاستخدامها كقوات خاصة وفي القتالات الخاصة على محاور القتال أو في المدن، رغم العلم بأنه كان من المقرر أن تنقلب القوات النظامية إلى قوات مقاومة شعبية باندماجها مع الشعب للقيام بضرب العدو أثناء تقدمه على محاور القتال في المدن والقصبات وعلى خطوط مواصلاته والعمل خلف خطوط عملياته لأطول مدة ممكنة وأكبر قدر من الخسائر.

هذا ما كان يجب الإعداد له والتدريب عليه، فحرب العصابات وقتالات المدن تعتبر من العمليات الصعبة ولكنها مؤثرة جداً وكان يجب الإعداد لها قبل الحرب بمدة مناسبة تخطيطاً وتدريباً وممارسةً وتنفيذاً.

انعدام وغياب دور الشعب في مشاركة قواته بالدفاع عن العراق

للأسف الشديد لم يكن ما يشير إلى دور الشعب في الحرب رغم كونه شعب مسلح ولا يخلو دار إلا وفيه قطعة

سلاح أو أكثر، فلم يكن هناك تنظيم شعبي مقاتل عدا أفراد حزب البعث الذي تزعزع معنوياً قادته وأعضاؤه حال علمهم بوصول قوات التحالف أطراف بغداد وتركوا مقراتهم وساحات قتالهم عند دخول هذه القوات بغداد. ولم يكلفوا أنفسهم حتى لحماية شركاتهم أو المنشآت والدوائر الحكومية والمرافق الاقتصادية والمعاهد العلمية والأثرية.

وكذلك لم يكن الشعب نفسه منظماً لأي شكل من أشكال المقاومة الشعبية لمساعدة القوات المسلحة النظامية. كان هذا خطأً كبيراً أغفلته القيادة السياسية والعسكرية ولم يبادر أحداً من الشعب لمثل هذا العمل وكأن الأمر لا يعنيهم أو أنهم كانوا يريدون للنظام أن يسقط.

تخاذل بعض القيادات العسكرية الرئيسية

المشاهَدْ والذي جرى أن بعض القيادات العسكرية وخاصة في المناطق الحيوية (بغداد) كان أول من ترك ساحات العمليات والمعارك هم القادة والضباط الكبار ومن في مقراتهم تاركين قواتهم سائبة تتخبط لوحدها وتنهار الواحدة بعد الأخرى إن لم نقل إن بعض القيادات كانت قد أعدت نفسها للقيام بأعمال خيانية هدفها قتل روح التصدي والصمود

لدى القوات التي بإمرتها وإخراجها من ساحة الحرب مهزومة وحتى إن البعض منهم أوعز لتشكيلاته بالتسليم وترك الأسلحة والمعدات وهي كاملة القدرة وترك ساحات القتال والتسرب داخل المدن وبين أبناء الشعب تاركين الأسلحة المؤثرة في الشوارع كالدبابات والناقلات جاهزة وغير مدمرة وحاملات الصواريخ وعليها صواريخها كاملة وجاهزة للإطلاق.

وأخيراً قد يقول البعض أو يتذرع بأن في حالة التفوق الجوي والصاروخي وانعدام قدرة الدفاع الجوي للطرف الثاني يفرض عليه نشر وتوزيع قواته في جبهات أو مناطق منفصلة مستقلة تدافع معزولة منفصلة عن بعضها فإن هذا البعض يعتبر خاطئاً وجاهلاً لا يتناسب تقديره مع ما في الحرب الحديثة.

فإما أن يقاتل الطرف هذا وفق ما تتطلبه مبادئ القتال الصحيحة ويعد للقتال والحرب مستلزماتها أو أن لا يورط نفسه وشعبه وجيشه ويزجهم في حرب خاسرة تتحطم فيها كافة قدراته العسكرية والمدنية عند أول صدمة.

إذاً ماذا كان العمل؟ كان يجب أن تلعب السياسة دورها الكامل لمنع الحرب وتحاشي الدخول فيها بكافة الطرق حتى تجد الحل المناسب والبديل حتى ولو على حساب

فئة أو قائد أو رئيس، أو العمل على الدخول في اتفاقيات دولية تكسبه القوة السياسية والموقف الدولي الفعال الرادع، أو الانصياع لإرادة الطرف الآخر وقبول حل المعضلة بالطرق السلمية والحفاظ على الشعب والوطن ومقوماته.

والحمد لله لم تتبع القيادة السياسية العراقية لا هذا ولا ذاك، ولهذا وقع العدوان وتمكن منا ودمر كافة قدراتنا العسكرية والاقتصادية والمادية وحتى الإدارية والعلمية، وهذه هي الويلات التي يوقع القادة بلادهم فيها والمبتلي وطننا بهم.

الفصل الثاني

عوامل نجاح قوات التحالف

كانت قيادة قوات التحالف قد درست جيداً قدرات القوات العراقية من كافة النواحي، القيادة والمهارة والتسليح والتجهيز والمستوى القتالي للأفراد والمستوى النفسي والمعنوي وحتى الخطط المعدة للدفاع، وعملت خلال سني الحصار علىٰ جمع المعلومات الدقيقة عن هذه العوامل كلها من خلال مصادرها التي زرعتها في قلب القيادات العراقية السياسية والعسكرية، فلم يكن من المستبعد أبداً بل وأكيد أن تكون قد عملت جاهدة على تجنيد عناصر خاصة لجمع المعلومات في كافة المستويات القيادية السياسية والعسكرية وتمكنت من معرفة قدرات القوات المسلحة العراقية على القتال وقدرات الشعب العراقي على الوقوف إلى جانبها وبأي شكل ستكون ومدى أو مدة قدرة هذا الشعب وقواته على المقاومة والصمود.

من خلال هذا المجال واعتماداً على تلك المعلومات، عملت قوات التحالف على رسم الخطط المناسبة لدخول الحرب مع القوات العراقية مستغلة الثغرات القاتلة التي تمّ

شرحها في (عوامل فشل القوات العراقية التي مرّ ذكرها في الفصل الأول) استغلالاً جيداً وتقدمت بكل حذر حتى تمكنت من جس نبض القوات العراقية وقدرتها على المقاومة والتأثير على الأرتال المتقدمة والتي ظهر فعلاً عدم عزمها على الصمود والقتال أمام الضربات المؤثرة في عقد المقاومات العراقية بشكل مؤثر وفعال، فأجهضت تلك المقاومة وذلك الصمود وحتى التي كانت عندها العزيمة عليه.

لهذا وجدنا أن القوات العراقية بدأت تنهار أمام ضربات وتقدم قوات التحالف الجبهة بعد الأخرى والمنطقة بعد الأخرى دون مقاومة تذكر، خاصة بعد أن تمكنت قوات التحالف من عزل القوات العراقية في الجبهة الجنوبية عن الوسطى والشمالية وبغداد بعمليات التجريد الثقيلة الجوية والصاروخية وحرمتها بل ومنعتها من التعاون والتنسيق فيما بينها وأفقدتها القدرة على الحركة.

وبهذا الأسلوب انفردت القوات الأميركية المكلفة باحتلال بغداد بالقوات العراقية المخصصة للدفاع عن بغداد هذا الانفراد الكلي بها واستخدام أثقل الأسلحة تأثيراً في تدمير هذه القوات بضربات جوية وصاروخية مؤثرة بل ومدمرة أفقدتها التوازن والقدرة على المقاومة، وأول من تأثر بهذه الضربات كان القيادات العامة نفسها حيث فقدت القدرة على إدارة

الحرب وتوجيه القوات نحو أهدافها الأولى والأهداف التالية، فكانت هي أول من فقد الوعي وفقد بعدها السيطرة على الحرب بصورة عامة وعلى سير المعارك في الجبهات بصورة خاصة، وفقدت معها قواتها التي بإمرتها القدرة على المقاومة والصمود فغابت القيادات الأدنى بعد غياب القيادات العليا مما أدى إلى بعثرة القيادات الميدانية التعبوية وانهيارها وغيابها أو هروبها فانهارت الجبهات الدفاعية كلها مرة واحدة بمجرد انهيار لقيادة العامة والقوات المسؤولة عن بغداد وبمجرد إعلان سقوط بغداد.

إذاً كان استخدام قوات التحالف مبدأ عزل القوات العراقية في الجبهات الأربعة عن بعضها بعمليات التجريد الجوية والصاروخية المؤثرة وبالقوات البرية المدرعة عاملاً مهماً في تسهيل عملية انفراد القوات التحالف بالقوات العراقية المبعثرة الفاقدة لقياداتها الواحدة تلو الأخرى بأقل جهد وأرخص ثمن ويعتبر هذا مبدأ مهماً جديداً في الحرب وهو (مبدأ بعثرة وعزل القوات المعادية المدافعة والجبهات والانفراد بها واحدة بعد الأخرى كأهداف سهلة للضربات الجوية والصاروخية وحتى النووية المحدودة) وبذلك فقدت القوات العراقية المقدرة على المواجهة بكتلة صلدة قوية صامدة.

بتطبيق هذه الخطة وبتأثير هذه الضربات المدمرة جواً وبراً لكل من هذه القوات المبعثرة المحدودة الحركة وبضياع القيادات المعزولة الخرساء المعدومة المواصلات والاتصالات كانت النتيجة حتمية وذات تأثير كبير على المعنويات - معنويات القيادات نفسها ومعنويات القوات وحتى معنويات الشعب في آن واحد - فانهارت هذه القوات وخرجت من أرض المعارك مهزومة بعد أن فقدت قياداتها ومعنوياتها وحتى أي أمل لها في الصمود والدفاع عن العراق.

لهذا كانت الانهيارات سريعة ومتتالية في الجبهات المحيطة ببغداد وسقطت بغداد وسهل على قوات التحالف الدخول إليها ومن أي اتجاه اختارته وبحرية تامة.

مما تقدم يمكن أن نجمل عوامل نجاح قوات التحالف بما يلي:

التحضيرات الجيدة للحرب

هناك حكمة قديمة وأصيلة تقول "معرفة الداء والصبر على الأعداء ثم استخدام الدواء" هي حكمة وضعها أجدادنا لمعالجة كافة الصعاب التي تواجههم ومنها الحرب والقتال. حكمة درسها الأعداء جيداً واستغلوا ما فيها وطبقوها علينا وكانت سبباً مباشراً في ربحهم الحرب علينا.

إنهم درسوا العراق وأهل العراق وقدرات العراق ثم صبروا على العراق وشعبه "عدوهم القوي والوحيد ذو التاريخ المجيد والشعب القوي الأبي والعنيد" فخططوا من أجل إنهاكه بالحروب المتتالية ثم بالحصار الذي دام ثلاثة عشر عام منذ سنة 1991 إلى سنة 2003. حاربوه في معيشته وحياته وحرموه من كل عوامل القوة والحياة وأضعفوا معنوياته وبثوا فيه عوامل الفرقة ودفعوا هم قيادته إلى الاستبداد في التعامل معه إلى درجة تمنى لو كان حكامه من الأجانب لينقذوه من حكم ديكتاتوري مستبد.

هكذا تمكنوا من تفريغ العراق وشعبه من كل عوامل القوة وحتى العسكرية خلال تلك السنين (الثلاثة عشر).

صبروا عليه وأعدوا العدة لعزله عن عالمه العربي الذي جعلوا الكثير منه أعداءً له يتمنون زوال الحكم فيه ومعاقبته ولا يشفعون له.

هكذا صبر العدو على العراق وشعبه حتى أنهكوه وهم يعدون العدة للانقضاض عليه حتى جاءت الفرصة المناسبة وأصبح العدوان على العراق وكأنه إنقاذ وتحرير لشعبه من حكامه وإنقاذاً للأنظمة حوله من جبروته وروح العدوان الذي صوروه لهم فيه على مواقعهم وعروشهم ومستقبل عشائرهم.

لهذا كانت الساحة ممهدة للعدوان، رأي عام داخلي ضد النظام، ورأي عام عربي عليه وليس له، ورأي عام دولي حققوه بشتى الوسائل بالإقناع أو بالابتزاز أو بالتهديد أو بالضغط باستخدام القوة.

لهذا كان نجاح قوات التحالف مضموناً باستخدام ذلك الدواء "الحرب على العراق تحت شعار التحرير" لذلك الداء "النظام في العراق" بعد ذلك الصبر الطويل "ثلاثة عشر سنة" الذي لم تستثمره قيادة العراق ولم تكلف نفسها لإعداد نفسها وأشقائها وأمتها وشعبها ليقفوا إلى جانبها في الدفاع عن أرضها، وحتى هذا الجيش الوطني العراقي المعروف بشهامته وعروبته وعقيدته تخلى عن هذا النظام وخذله، وبه خذل الشعب، فضاع هو وضاع الشعب وضاع العراق.

المعلومات الدقيقة

إن نجاح أي عملية عسكرية تعتمد عادة على المعلومات لدى الطرفين، كل عن الآخر فتيسر المعلومات الدقيقة لدى قيادة قوات التحالف عن خطة الدفاع العراقية للدفاع عن العراق عامة وعن بغداد خاصة وكأنها كانت قد حصلت على نسخة أصلية منها بعد أن ظهر أن المخابرات الأميركية

استطاعت اختراق قيادة العراق السياسية والعسكرية وظهور من كان يتعاون معها قبل العدوان من سياسيين وقادة عسكريين وبعض من كبار ضباط الجيش السابقين والآن هم مستشارون لدى قيادة قوات التحالف في كافة المجالات وخاصة العسكرية منها.

فتقسيم العراق وتقسيم الجيش العراقي إلى أربع مناطق معزولة ذات قيادات مستقلة وتحت تأثير ذلك القصف الجوي والصاروخي، أدى إلى تثبيت انعزالها وفقدان التعاون والتنسيق فيما بينها وضعف مستوى قياداتها العامة والميدانية وتدني مستوى كفاءة الأسلحة والمعدات وتهريب أو دفن طائرات القوات الجوية، كلها معلومات مهمة سهلت على قيادة قوات التحالف العمل على إعداد خطة رصينة تؤكد هذه الثغرات في الخطة الدفاعية العراقية وتؤكد الانعزال والتبعثر بالقوات والتخطيط للانفراد بها الواحدة بعد الأخرى بأقل جهد وأقل ثمن.

توخي الهدف الحيوي

كان الهدف الحيوي لعمليات قوات التحالف هو (بغداد)، مقر النظام العراقي لهذا كانت عملياتها كلها تتوخى التقدم السريع بالرتل الرئيسي باتجاه بغداد عازلة القوات العراقية

في المنطقة الجنوبية والوسطى وتخطيها مخصصة قوات أخرى لمعالجتها وعزلها، إما بالقصف الجوي والصاروخي (بعملية التجريد المستمرة) أو بالتقدم نحوها بعدة اتجاهات تفرض عليها الخروج من مواضعها الأصلية الدائمة وضربها جواً وبراً، وإجبار القيادة العليا والميدانية على تغيير خططها الدفاعية وبالتالي فقدان مبدأ المباداة كلياً وفقدان حرية تطبيق خطتها فجاءت تحركاتها مرتجلة خارج ما هو مرسوم.

لهذا وجدناها ضعيفة في كل مكان من جبهات القتال، في الوقت الذي استمر الرتل الرئيسي في تقدمه نحو بغداد دون الانشغال بالأهداف الهشة التي جابهت قواته في المنطقتين الجنوبية والوسطى.

الاستخدام العالي للقوة الجوية والصاروخية

كان هناك تقدم واختلاف في التفكير الاستراتيجي في الحرب بين الطرفين، الأول التفكير الحديث الأميركي بالاعتماد على القوة الجوية والصاروخية في الحرب بالتجريد والقصف الميداني وتدمير قدرات الفريق المقابل قبل التقدم بالقوات المدرعة والآلية، والثاني التفكير القديم الذي اعتمدته القيادة العراقية وهو بالدفاع الثابت في الساحات الأربعة وذلك

بدفن القوات في مواضع دفاعية حول المدن الرئيسية دون غطاء جوي وصاروخي أو حتى مدفعي حديث ودون الاعتماد على مرونة استخدام القوات المدرعة المتيسرة. أدى هذا إلى إعطاء أهداف واضحة وهشة للضربات الجوية والصاروخية الأميركية وإيقاع خسائر كبيرة بها، وأربك كل الخطط الدفاعية وأجبرها على تغيير خططها لمواجهة المواقف غير المتوقعة التي قامت بها قوات التحالف وخاصة في منطقة بغداد، حيث اضطرت القوات العراقية إلى الخروج من مواضعها دون غطاء جوي فكانت هدفاً سهلاً للضربات الجوية المعادية.

خطأ تقدير الموقف في خطة الدفاع عن بغداد

لقد كان المقرر في الدفاع عن بغداد إذا ما عجزت القوات العراقية النظامية عن الدفاع والصمود تجاه القوات المعادية أن تنقلب هذه القوات النظامية إلى قوات خاصة تقاتل قتال المدن والشوارع، ولما لم تكن هذه القوات قد نظمت ودربت جيداً على مثل هذا النوع الخاص من القتال وضياع قياداتها عند أول صدمة أو عند أول الضربات الجوية والصاروخية، تبعثرت التشكيلات والوحدات وضاعت في أطراف بغداد وفي داخلها دون تنظيم ولا قيادات نتيجة

الارتباك الذي حدث في كافة الجبهات المحيطة ببغداد بعد الضربات الجوية والصاروخية التي وقعت بها ونتيجة تطبيق قوات التحالف عملية التقدم نحو بغداد من كافة الاتجاهات أجبرت القوات العراقية على التبعثر وعلى تغيير جذري في الخطط الدفاعية لمواجهة الأرتال المتقدمة نحو بغداد فزادت من انكشافها وقدمت أهدافاً سهلة للضربات الجوية المعادية.

هذا كله أدى إلى انهيار القوات العراقية وأعطى قوات التحالف الحرية التامة لدخول بغداد من الاتجاه الذي اختارته مناسباً لها ولا يكلفها خسائر تذكر ويؤدي إلى الأهداف الحيوية، لهذا فإنها اختارت التقدم من اتجاه الجنوب والغرب باتجاه "الفلوجة – أبي غريب ثم مطار بغداد" ومن الجنوب (محمودية مسيب – المنطقة الخضراء – القصور" حيث القيادة العامة. وكانت أهم المعارك والمقاومة التي واجهتها هي في منطقة مطار بغداد الدولي والتي يمكن أن نصفها بالمعركة الحاسمة التي بعدها انفتحت أبواب بغداد أمام قوات التحالف وكان اختياراً موفقاً جداً جنّب قوات التحالف التعرض للمقاومات المعدة على المحاور الأخرى التي انهارت بمجرد دخول قوات التحالف ووصولها مقر القيادة العليا العراقية في منطقة القصور الجمهورية.

للأسباب أعلاه سقطت بغداد بما لا يزيد عن ثلاثة أيام بعد أن ضُربت القوات المدافعة عنها ضربات مدمرة ومؤثرة وانتثرت وتبعثرت وترك قادتها مواقعهم القيادية وترك المقاتلون مواضعهم تاركين أسلحتهم المتوسطة والثقيلة ودباباتهم وناقلاتهم صالحة وانتشروا في بغداد أفراداً لا وحدات مقاتلة ولم يعرف حتى الآن لماذا لم تتحول هذه القوات إلى حرب القتال الخاصة وقتال المدن التي كان من المقرر أن تكون عليها وكما كان مرسوم لها في الخطة وكأنها لم تكن ترغب في هذا أو أنها كانت غير مدربة عليه أو أن إيعازاً صدر إليها بالتراجع والتبعثر وترك أرض المعركة.

أياً كانت الأسباب في هذا الانهيار فإن المخطط لهذه القوات كان الدفاع حتى الموت والاستمرار بالقتال لآخر طلقة فماذا حدث؟ ولماذا حدث هذا الانهيار؟

هذا ما ستكشفه الأيام. أكان جهلاً من القيادة العسكرية في إدارة الحرب، أو أمراً كان قد صدر لهذه القوات للتراجع والاستسلام وترك القتال ومغادرة أرض المعارك عند أول ضربة معادية حتى ولو لم تكن مؤثرة، ذلك التأثير الذي يفقدها توازنها وقدرتها كاملة على الاستمرار بالقتال وتسليم بغداد بثمن بخس هللت له قوات التحالف

واستخدمته بعد الحرب لأغراض سياسية كبلت بها الشـــعب العراقي وقضت به على معنوياته وقيمه وحتى إيمانه بجيشه ووطنيته.

الباب الرابع:

لماذا سقط النظام في العراق؟

الفصل الأول

الأسباب المتعلقة بالنظام

إن سقوط النظام في العراق لم يكن بالدرجة الأولى بفعل العدوان الأميركي – الإنكليزي فحسب بل إن هذا العدوان كان بمثابة طلقة الرحمة لهذا النظام الذي كان يحتـوي عوامـل انهياره في داخله والتي نمت وترعرعت مع الأيام والسـنين بفعل السياسات التي اتبعها خلال سيطرته على القطر وإدارته لشؤون البلاد خلال خمسة وثلاثين سنة، بـدأت بـالحروب وانتهت بالحروب وتبذير ثروات البلد على التسليح والتجهيز العسكري والحروب وبدون عدالة أو رحمة مهملة كـل مـا يتعلق بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

كانت أول حرب هي تلك الحروب الداخلية فـي شـمال العراق ضد الأكراد بقيادة البارزاني والطالباني والتي كانـت امتداداً لحروب مستمرة قبل ثورة 17-30 تموز 1968 بل كانت بعد ثورة 1958 ثم ثورة رمضان 1963 وحتى الثورة الأخيرة عام 1968 والتي لم يتم التفاهم فيها على بنود الحكم الـذاتي الذي منحته ثورة 1968 للشعب الكردي والحقوق الواسعة التي

تضمّنتها بنود ذلك القانون، ولكن بفعل فاعل خارجي ولغرض إبقاء العراق دامياً مثقلاً بجراحه ولوضع العثرات أمام استقراره أصاب الطرفان التعنت وعدم الاتفاق، وفرضت الحروب عليهما والدخول في القتال الذي استمر يمتص دم العراق والعراقيين عرباً وأكراداً ويستنزف ثرواته يصرفها على إعداد القوات والتسليح والتجهيز لإدامة الحرب في شمال العراق حتى تمت السيطرة عليه عام 1980 حيث تم الاستقرار النسبي في المنطقة الشمالية.

ولكن!! هل كانت تلك الحروب ضد الأكراد في الشمال عراقية صرفة أم كانت موجهة بشكل أو بآخر وبعلم القيادتين العراقيتين العربية والكردية أم كانت بدون علمهما؟ ثم أكانت بقيادة عراقية أم حرب بالاستنابة بشكل مباشر أو غير مباشر، هذا ما كشفته الحرب الأميركية فعلاً عندما تعاونت القوى الكردية معها في عدوانها على العراق ومهدت لاحتلال الشمال دون قتال.

ثم هل كان الغرض من الحرب في الشمال توحيد العراق أم تجزئته واستنزاف طاقاته البشرية والمادية العربية والكردية وتعميق العداء بين القوميتين في القطر الواحد الذي عاش فيه العرب والأكراد بسلام وأخوة ومصير واحد آلاف السنين.

كلها أسئلة مطروحة على بساط البحث والسياسة العراقية الوطنية وعلى بساط السياسة الدولية المتعاونة فيما بينها لإضعاف قدرات النظام العراقي واستنزاف طاقاته العظيمة وحرمانه من استغلالها للإعمار لا للحرب والتدمير، استعداداً للانقضاض عليه في وقت معين مثبت في خطط الدول المعتدية التي كانت في السابق بريطانيا والآن أميركا وبريطانيا ودول أخرى أوروبية.

ثم هل كانت الحرب الموجهة كافية لاستنزاف قدرات العراق وإنهاك قيادته وشعبه أم كان لا بد من إدخاله حروب أخرى تزيد في تدمير طاقاته؟

لهذا خلقت الحرب الإيرانية – العراقية عام 1980 وأقحم العراق في حرب ضروس طويلة الأمد مع جار مسلم كبير الحجم ضخم الطاقات عظيم القدرات، فكانت القوى الإمبريالية بكافة اتجاهاتها شرقية وغربية، شيوعية أو إمبريالية تقدم الدعم للطرفين وتغذي تلك الحرب بسخاء ولكن مقابل ثمن باهظ وتعمل على إدامتها وإطالة أمدها والعمل على غلق وتعطيل سبل التفاهم لإنهائها كلما حاول المعتدلون في الطرفين إيقافها ولا حتى الأمم المتحدة ولا مجلس الأمن كلف نفسه في هذا السبيل.

وهكذا استمرت الحرب ثماني سنوات دامية قضت على

خيرة رجال وشباب البلدين في العراق وإيران باسم الدين والوطنية والاستقلال والسيادة على الأرض مع العلم كان من المعروف والواضح جداً أنها كانت حرباً مخطط لها ومفروضة على الطرفين (الجاهلين)، وموجهة من قبل قوى دولية تعاونت على الثورتين في العراق وإيران عملاً بحكمة (الدب والذئب والثعلب) فقد دفع الغرب والشرق الدب الأكبر (إيران) والذئب المستشرس (العراق) ليدخلا حرباً ضروساً دامية طويلة الأمد تقضي على أجيال كاملة من الرجال في تلك السنين الثمانية ليخرجا مهلهلين عاريين خاويين من طاقة أو ستار يستران به عوراتهما ليأتي الثعلبان الماكران (الأميركي والبريطاني) ليفرضا إرادتهما على الطرفين بمخططهما الماكر الذي كانا قد أعداه للمنطقة منذ عام 1970 للانقضاض على هذين القطرين الرئيسيين في المنطقة.

ولكن كيف؟ هل تدخل أميركا الحرب معهما دون سبب؟ هل تنقض على أحدهما أم على كليهما دون ذريعة مقنعة للرأي العام الدولي والعربي؟ هنا لعبت السياسة الأميركية مع المغرور المنتصر شكلاً والمنهك فعلاً وهو العراق فتدفع بقيادته التي أعمتها نشوة الانتصار المزعوم، فدفعته إلى دخول حرب دامية أخرى أكلت الملايين من شعبه بين شهيد وجريح وأسير مفقود أو معوق وحمّلته المليارات من الديون بعد أن كان هو يقرض الدول الأخرى - بعد سنتين فقط من

هذا كله دخل العراق في حربه على الكويت – بعد حرب ثمانية سنوات ضعف ما دامته الحرب العالمية الثانية!!

كيف يمكن أن يعقل أو أن يكون مقبولاً من أي قائد عاقل سياسي أو عسكري دخول حرب واحتلال قطر بقوات لا زالت تأن ألماً من جراحها التي لم تجف دماؤها بعد؟؟

وكيف يقبل أي سياسي قائد أو أي عسكري قائد واعي ومدرك ومخلص لبلده دخول حرب بعد سنتين من حرب دامية دامت ثماني سنوات؟

ومع هذا ورطت القوى الإمبريالية وعلى رأسها أميركا العراق وقيادته بالتظاهر بعدم التدخل، واعتبرت المشكلة بين العراق والكويت مشكلة عربية قومية لا دخل لها بها وهذا ما جاء على لسان مبعوثة الولايات المتحدة التي التقت رئيس جمهورية العراق في بغداد أيام الأزمة، مما شجع القيادة العراقية وهي منتشية بنشوة النصر المزعوم في حربها مع إيران إلى الاستهانة بالموقف وإقدامها على دخول الكويت واحتلاله ودخول أبواب المصيدة التي كانت قد أعدت لها من قبل أميركا وبمباركة من إنكلترا ودول أوروبا وحتى الدول العربية والصديقة وإلى إيجاد المبرر لتحقيق هدفين أساسيين مثبتين في خططها الاستراتيجية للسيطرة على المنطقة وإعادة ترتيبها وهي:

الهدف الأول: إيجاد الذريعة للتواجد والتحشد في منطقة الخليج وإدخال أساطيلها وقواتها إلى المنطقة تحت غطاء حماية أقطارها من العدوان العراقي على الكويت ودول الخليج وبضمنها السعودية، فأدخلت وحشدت من القوات ما يكفي لا لقتال الجيش العراقي بل ما يكفي لاحتلال كل دول الخليج وما يجاورها للسيطرة على كافة جيوش وأقطار المنطقة العربية.

حشدت وعبأت جيوش وأسلحة ومعدات حديثة وأساطيل بحرية وجوية تكفي لإنشاء قاعدة عظيمة وكبيرة تحقق بها المخططات الجديدة المرسومة للمنطقة والتي أطلقت عليها (عملية إعادة ترتيب المنطقة)، والذي كان هو الهدف الأساسي من تلك الحرب والمقدمة لتطبيق ذلك المخطط.

الهدف الثاني: هو ضرب وتدمير أكبر وأقوى جيش عربي في المنطقة (الجيش العراقي) المنتعشة قيادته السياسية بنشوة النصر في حربها مع إيران والمعتدية على الكويت والقضاء على ما تبقى لديها من قدرات عسكرية، فكانت تلك الضربات الجوية المدمرة للقوات العراقية وهي تنسحب من الكويت والضربات الجوية والصاروخية المدمرة للبنى التحتية والقواعد العسكرية العراقية عام 1991 والتي أعادت العراق إلى عهد القرون الوسطى كما قالها (بوش الأب) فعادت القيادة

العراقية بجيشها من الكويت مثقلاً بالجراح منهوك القوى مبعثراً تنهش به على محاور تراجعه قوى الردة التي أعدت وأعدها له الجار قبل الأعداء، فأكملت إجهازها على ذلك الجيش المتراجع وهو داخل القطر وغابت القيادات وغاب النظام في المحافظات الجنوبية من العراق وحتى أطراف بغداد وعاثت تلك القوى الضالة بالبلد فساداً وحرقاً ونهباً وتقتيلاً، وكأنها كانت على موعد مع الأميركان للقيام نيابة عنها بإكمال حملتهم والإجهاز على القوات العراقية المنسحبة والإجهاز على ما في العراق بأيدي عراقية أو أيدي دخيلة من جيران العراق.

من ذا الذي يصدق أن التخطيط لضرب العراق عام 1991 لم يكن متوقعاً ومنسقاً بل ومخططاً له أن تكون مرحلته الأولى بقوات أميركية ومرحلته الثانية بقوات شبه نظامية من دول الجوار بالتعاون مع تنظيمات المعارضة في الداخل التي كانت قد أعدت بغفلة من القيادة العراقية.

إذاً تم تدمير جيش العراق وتدمير كل البنى التحتية في محافظاته الجنوبية والوسطى والشمالية إما بالضربات الجوية والصاروخية الأميركية وبقوات أميركية وإنكليزية وفرنسية وحتى عربية متطوعة ولم تتقدم إلى أكثر من منطقة البصرة والناصرية والسماوة فقط.. ثم بأيدي أجنبية وعربية من

جيران العراق غير نظامية غوغائية أتمت التخريب والحرق والسلب والنهب والقتل حتى أبواب بغداد.

لهذا اكتفت قوات التحالف آنذاك (أميركا وإنكلترا وفرنسا) بما حققته (تدمير الجيش العراقي) ولم تتقدم لاحتلال بغداد رغم أن الطريق كان مفتوحاً أمامها لكنها أرادت أن يتم هدم العراق على أيدي أبنائه وجيرانه وبعض أبناء عمومته من العرب أنفسهم.

أي تدمير البنى التحتية للعراق بالاستنابة وهي استراتيجية ذكية جداً وعميقة لا لأجل تدمير العراق فقط بل لتعميق روح العداء بين العراق وجيرانه من الإيرانيين والعرب الذين أرسل البعض منهم قوات قاتلت إلى جانب القوات الأميركية.

ومرت الأيام المظلمة على العراق حتى تمكن من إعادة سيطرته على ما استبيح من أرضه وشعبه وثرواته من قبل الأميركان وأعوانهم من الدول والميليشيات التي دخلت البلاد من الشرق والجنوب. وقام بإعادة بناء ما خربته حرب الخليج الأولى وبقدرات عراقية فائقة مخلصة وبشعور شعبي صادق من أبنائه وفي مدة قياسية لم تزد عن السنة.

ومرت السنين من عام 1991 حتى عام 2003 نهض العراق ونهضت قواته الوطنية وأعاد قدراته ثانية ولكن تحت

وطأة قرار ظالم صادر من مجلس الأمن وهو قرار فرض الحصار على العراق وشعبه وتكليفه بدفع تعويضات عن الأضرار التي خلفتها حرب الخليج الأولى. أي أن القوى الطاغية حاربت العراق ودمرت بناه التحتية بثمن هي قدرت مقداره يدفع من دماء العراق والعراقيين.

أي حكم هذا إذا ما عملنا بكلام الله تعالى حين قال بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وإن فئتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل﴾ فأين كانت الدول العربية الإسلامية من قوله تعالى حينما تعاونت مع القوات المعتدية التي لم تكتف بضرب القوات العراقية التي كانت في الكويت وهي تنسحب منه بل ودمرت كل ما في العراق دون وازع من ضمير ودون طاعة لقول الله تعالى؟

إن القوى الطاغية حاربت العراق ودمرت بناه التحتية لا لأجل عيون العرب في الكويت، بل اتخذته ذريعة لضرب العراق والقضاء على جيشه وقدراته المادية والمعنوية لتقدمه مثلاً للشعوب والدول العربية الأخرى أولاً ولتقضي على أقوى قوة عربية في المنطقة لمواجهة العدوان والاحتلال الصهيوني في فلسطين الجريحة.

حرب مدمرة تبعها فرض حصار صارم قاتل وغرامة ضخمة مستحقة للمعتدي على ما قام به من عدوان مكافأة له على عدوانه.

هكذا جاء حكم القوي للضعيف وهكذا كان حكم قانون الغاب وكان الأجدر بالقيادة العراقية أن تعيه وتعرفه قبل إقدامها على عمل يجرها إلى التمهيد للانحدار إلى هذا المصير وتعمل بكل الوسائل لتحاشيه. وهنا يظهر ما ندعوه "بالقدرة السياسية الاستراتيجية للقيادات السياسية" فأين كانت القيادة العراقية من هذا كله؟

وهكذا نهض العراق الجريح من كبوته مضمداً جراحه لاعقاً دماء أبنائه خلال اثني عشر سنة من الحصار منذ عام 1991-2003 وبما تركته الأمم المتحدة (غير المتحدة) و(مجلس العدوان لا الأمن) من فتات للعراقيين ومما تبقى من ثرواتهم المنهوبة باسم (الأمم المتحدة ومجلس الأمن) ليعمروا بلدهم ولكن كيف؟؟

أعاد بناء ما خربته الحرب من طرق وجسور ومرافق الماء والكهرباء والمؤسسات الحكومية الأخرى والكليات والجامعات والمدارس والمستشفيات في مدة قياسية وعلى حساب لقمة عيش شعبه.

ثم عدنا إلى عاداتنا وعدائنا فبنينا القصور الشامخة بدلاً

عن المساكن الشعبية. وأعدنا بناء الجيوش، جيوش (الحرس الجمهوري – وقوات الأمن الخاص والجيش النظامي – وجيش القدس – والقوات الفدائية – ومنظمة المحاربين – وقوات النخوة – وقوات حزب البعث العربي الاشتراكي) والمنتشرة على أرض العراق كله.

كل هذه الجيوش والقوات كان الغرض منها وقوف العراق وشعبه كله ضد أي عدوان محتمل على العراق ولكن على حساب من؟ وكيف؟

قوات الأمن الخاص والحرس الجمهوري بامتيازاتها الخاصة وتجهيزاتها الخاصة التي تختلف بل وأفضل بكثير من امتيازات وتجهيزات الجيش النظامي، ثم الجيش النظامي الواسع والكبير أفقياً والضحل عمودياً بالقدرات والكفاءة والمخصصات والرواتب التي كانت أدنى بكثير من الحرس الجمهوري. أما جيش الفدائيين فحدِّث ولا حرج بما صرف عليه من مبالغ طائلة؛ ثم جيش القدس فإنه كان مكوناً من المتطوعين من أبناء الشعب دون التقيد بالسن والمهارة ولا حتى بالتسليح والتجهيز فكان أبعد ما يكون أن يوصف بجيش مقاتل. أما قوات الحزب فقد كانت قوات خفيفة التسليح ضعيفة التدريب والمهارة وضعيفة القيادة والانضباط لأن قيادتها مدنية ولا تصلح إلا للأمن الداخلي.

إذاً كان إعداد مثل هذه الجيوش والقوات تبذيراً للطاقة والمال واضمحلالاً للقدرة والكفاءة على حساب الجيش النظامي العراقي الذي كان لو صرفت كل تلك الطاقات له ولأجله (من تجهيز موحد حديث وامتيازات موحدة عادلة) لكان جيش العراق بقيادته الواحدة جيشاً لا يقهر أبداً ويصمد تجاه أي قوة كانت معتدية خاصة إذا ما علمنا أن ما يتمتع به المقاتل العراقي من نخوة ومروءة وحب لوطنه وأرضه وقوة إيمانه بدينه ووطنه رافعاً شعار (من لا وطن له لا دين له).

خلال هذه السنين الثلاثة عشر أدى إعداد هذه القوات غير المتجانسة إلى تفرقها وضعف قدرتها على التآلف والتعاون وضعف وحدة القيادة وبالتالي ضعف وحدة الاندفاع في القتال للدفاع عن العراق لذا وجدناها تنهار عند أول ضربة تاركة أرض المعركة للعدو المحتل في عدوانه الأخير في أي مكان وغياب قادتها قبل مقاتليها.

ثم ذلك الاستخدام المفضوح للأسلحة المحرمة من قبل قوات التحالف ضد القوات العراقية (حسب اعتراف وزير خارجية أميركا نفسه) والذي كانت قد اعتبرته تهديداً لمصالحها والأمن الدولي وطبلت له وحصلت على تأييد كل من الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وشكلت اللجان للتفتيش في الدول التي يحتمل أن تمتلكه حتى ولو لأغراض سلمية أو

التي كانت تسعى للحصول عليه واتهمتها باستخدامه أو النية في استخدامه لأغراض عسكرية في حين كانت هي تمتلكه وتستخدمه ضد الشعوب وتسمح لصنيعتها إسرائيل بامتلاكه والتهديد باستخدامه في المنطقة.

هذا العمل المفضوح والادعاء الكاذب الملفق من قبل أميركا ومن يدور في فلكها اتخذته ذريعة للعدوان على العراق ولما لم تستطع الحصول على قرار من مجلس الأمن لاستخدام القوة ضد العراق، قررت ومعها إنكلترا وإسبانيا وأستراليا تحمّل مسؤولية ضرب العراق والقضاء على قيادته السياسية وعلى قدراته السياسية والعسكرية والاقتصادية وانتزاع سيادته بالعدوان عليه يوم 20 آذار 2003، ودخلت العراق من الجنوب باتجاه أم قصر والفاو والبصرة بقوات بريطانية وباتجاه الناصرية – الديوانية – السماوة – الحلة – النجف – كربلاء – بغداد بقوات أميركية تحت غطاء جوي وصاروخي كثيف وتمكنت من احتلال بغداد في 9 نيسان 2003 والقضاء على القوات المدافعة عنها وإسقاط النظام السياسي فيه واستباحت بغداد، بل والعراق كله وما فيه وسلمته إلى الغوغاء لإكمال التدمير دون الدفاع عنه.

من كل ما تقدم نجد أن عوامل سقوط النظام في العراق

لم تكن بفعل العدوان الأنكلوأميركي الأخير فقط بل كان العدوان العسكري يمثل الحلقة الأخيرة من المخطط الذي أعد للعراق وقيادته ونظامه وشعبه والذي دفع القيادة العراقية إلى الدخول في الدروب المرسومة فيه من قبل القيادة الأميركية من درب (مرحلة) إلى درب (مرحلة) حتى وصلت بالعراق إلى مرحلة الضربة العسكرية القاضية وهو منهوك القوى مفتت الأطراف والأعصاب وحتى العقول، وحيداً في ساحة الحرب بعيداً عن أشقائه العرب (أنظمة وشعوب) الذين تعاون البعض منهم مع القوى المعتدية التي صورت العراق ونظامه بالخطر المهدّد لمصير حكامه.

قوى العدوان انفردت بالعراق وحده بعد أن أبعدت عنه كل القوى القومية والدولية، وتمكنت منه فهاجمته واحتلت أرضه وأسقطت النظام فيه دون أن يتقدم أحد أو يتطوع ولو بقليل من الجهد لنصرة شعبه الذي كان مغلوباً على أمره وظل مغلوباً على أمره في ظروف العدوان وبعده وحتى اليوم.

ويمكن إجمال عوامل سقوط النظام والمتعلقة بالنظام نفسه قيادته وسياسته الداخلية وسياسته القومية وسياسته الدولية بما يلي:

1. جهل النظام ورؤوسه بمبادئ وسبل السياسة الوطنية

والقومية، وأول ما يتعلق بجهله بالسياسة الوطنية هو ذلك التطرف في التعامل الوطني مع الشعب نفسه والابتعاد كلياً عن ممارسة السبل الديمقراطية وكبت الحريات وانتهاك حقوق الإنسان والابتعاد عن تطبيق العدالة في منح الحقوق السياسية والاقتصادية والقومية لأبناء الشعب. فكان هناك تمييز واضح بين أبناء المذاهب وتمييز واضح بين القوميات نزولاً إلى العشائرية وإنعاشها وإبرازها على الساحة الوطنية حيث فضلت رعايا مدينة عن مدينة وعشيرة عن عشيرة أخرى، وخلقت زعامات عشائرية جديدة على حساب الزعامات الأصيلة والأصلية وطغت سياسة شراء الذمم لهذه الزعامات لضمان ولائها، لا على أساس وطنيتها بل على أساس المكافآت المادية المجزية التي يمكن أن تحصل عليها من جراء ولائها للسلطة.

ثم جاءت سياسة إبعاد العناصر الوطنية المخلصة الواعية والناضجة والصادقة بولائها للوطن وليس للفرد، والتي كان لها تاريخ مجيد ونضال صادق عريق ودائم للوطن والشعب والأمة وليس للفرد والقيادات وأشخاصها.

ثم جاءت سياسة التصفية والقتل لمن يصمد من هذه العناصر على مبدئيته وإيمانه بالمبادئ الحرة والوطن،

فجردت من حقوقها ثم حوكمت أو أبعدت أو هربت وغادرت الوطن فتجردت القيادة نفسها من أفضل عناصر حمايتها الحقيقية النزيهة.

ثم جاءت سياسة محاربة العناصر الأخرى في رزقها وحريتها فأبعدتها عن مرافق الحياة السياسية وحتى الثقافية والعلمية وحجرتها في عقر دارها وحددت نشاطاتها.

كل هذا أدى إلى رسوب هذه العناصر المخلصة حقاً في القاع وظهرت على السطح تلك العناصر المصنوعة من قبل النظام في كل شيء، في الإيمان الزائف والإخلاص المصور والوعي الموهوم فانحدرت المؤسسات التي سلمت لها هذه الفئة إلى الحضيض والفشل والفوضى.

والأدهى والأمر من هذا كله فقدان الشعب وجماهيره الثقة بمؤسساته والقائمين عليها من هذه الصنائع التي صيغت بالشكل الذي أراده النظام رغم ضحالتها وهشاشة إيمانها وإخلاصها وانجرارها إلى الكسب المادي والمصلحة الشخصية، فطفت عناصر التدهور الخلقي المادي وأصبحت الرشوة والكسب غير المشروع مشروعاً لدى الكثير من هذه الصنائع وفي كل المستويات العليا في الإدارة والقيادات وحتى وصلت إلى مستوى القوات المسلحة وقوى الأمن ودوائر

الدولة الدنيا وعلى حساب المواطن العراقي الذي لم يستطع كسب حقه إلا بالوجاهة والرشوة والاحتيال على القوانين حتى أصبح الأبيض يمكن أن يكون أسوداً والأسود يمكن أن يكون أبيضاً دون واعز أخلاقي أو ديني أو قانوني أو وطني فضاعت القوانين وضاعت معها العدالة والحقوق وضاع بعدها الشعب والوطن.

2. جهل القيادة السياسية العليا لمبادئ وسبل السياسة الدولية:
أن خطأ القيادة العليا العراقية في انتخاب وتعيين الرؤوس القيادية لقيادة البلد وخاصة أعضاء السلطات التنفيذية (الوزارات والمجلس الوطني) ورؤوس القيادات ذات العلاقة بالسياسة الدولية وعلاقة العراق بدول المنطقة ودول العالم الأخرى وخاصة الدول الكبرى ذات المصالح الاستراتيجية بالعراق والمنطقة وأخص بها الدول العربية ودول العالم الأخرى في أوروبا وآسيا كان خطأً متعمداً فبعد أن أقصَت وأبعدت العناصر الكفوءة المخلصة جاءت بعناصر ضحلة سهلة الانقياد والطاعة العمياء والمستمعة فقط لأوامر القائد الفرد الأعظم، دون اعتراض ولا اقتراح وكأنها آلات صماء فتدهورت سياسة العراق مع دول المنطقة ودول العالم.

فبالنسبة للتعامل مع الدول العربية فقد أدى هذا الجهل

السياسي الدبلوماسي للقيادة وعملائها في الخارج إلى ضياع الصلاة الأصيلة العربية والقومية وحسن الجوار بين العراق والدول العربية كافة ولم يبق للعراق على مدى سني حكم القيادة (33 سنة) أي دولة عربية متعاطفة جدياً مع النظام وقيادته وسياسته في المنطقة.

هذا ما أدى بالدول الإمبريالية ذات المصلحة بالمنطقة وفي مقدمتها أميركا وإنكلترا، تقابلها روسيا وفرنسا إلى التكالب في الحصول على النفوذ في المنطقة والعراق في المقدمة وعمل كل على طريقته على استثمار هذه الفرقة والعزلة بين العراق ودول المنطقة من أجل النفوذ إلى المنطقة واستثمار الثغرات السياسية للحصول على ما يحقق لها الكسب الاقتصادي في المنطقة على حساب الاقتصاد العراقي وعلى حساب حرية الشعب في العراق فكانت الثروة الهائلة تُبَذَّر وبدون حساب لشراء ذمم وتأييد سياسيي دول كبرى على حساب سياسيي دول كبرى أخرى واختصار التعامل السياسي والاقتصادي على من يؤيد ولو شكلاً سياسة النظام الداخلية فيما يتعلق بتعامله غير الديمقراطي مع الشعب أو ما يتعلق بتعامله مع الدول العربية ودول الجوار في المنطقة.

والجهل السياسي يظهر هنا واضحاً حينما اطمأنت القيادة العراقية إلى ما قدمته بعض الدول من تأييد لسياسة العراق

في حربه مع إيران وحربه مع الكويت واعتبرته تأييداً حقيقياً بينما كان هو تأييد مصلحي موقت قد يزول وزائل فعلاً عندما تتطلب مصالح تلك الدول ذلك، وفي المقدمة كانت سياسة روسيا المتأرجحة مع التعامل الاقتصادي للعراق معها وكذلك فرنسا التي كانت دائماً تأخذ موقف الناصح للقيادة العراقية للانصياع إلى رغبات الدول الكبرى الأخرى كأميركا وغيرها والتي تتطلب مصالحها أن تنصاع هي (فرنسا) لها قبل العراق، وكذلك بعض الدول العربية التي أحجمت عن مساعدة العراق والعراقيين خلال تلك الأزمات والحروب.

إن القيادة العراقية لم تكن مرنة على حدٍّ سواء لا مع الدول العربية ولا مع الدول الكبرى ذات النفوذ والمصالح في المنطقة وفي مقدمتها أميركا، بل بالعكس وقفت دوماً موقف العداء الصارم وحتى الشخصي مع قادتها وموقف الضد في كل التعامل مع دول المنطقة باسم المصالح والأهداف القومية، وكان موقفها حاداً ومتطرفاً إلى درجة لم يسمح لأي دولة عربية أن تقف مع العراق في سياسته هذه حفظاً على مصالحها ومصلحة قياداتها وسياسييها خاصة بعد أن أصبحت مرتبطة ارتباطاً كلياً بعجلة الدول الكبرى وفي المقدمة أميركا.

إن تجاهل القيادة العراقية لدور الدول الكبرى وتأثيرها

على قرارات ومصالح الدول العربية وقياداتها ووضع هـذه الدول في خانة العمالة والتبعية الكلية لدول الغرب الكبرى (أميركا) كان يمثل عين الجهل المدقع لقيادة العراق لقوانين السياسة الدولية متناسية أن السياسة الدولية اليوم قائمة على المصالح لا على المبادئ ومسندة بسياسة القوة (سياسة العصا الغليظة) التي تبنتها أميركا وحلفاءها مع دول المنطقة ودول العالم الأخرى بصفتها الدولة الأقوى والقطب الوحيد في العالم.

إذاً كيف يمكن أن نضمن تأييداً كلياً من دول عربية مجاورة للعراق والأساطيل والجيوش والقواعد العسكرية جاثمة على أراضيها وعلى صدور شعوبها.

ثم كيف كانت القيادة العراقية تتوقع وبقدرة قادر أن تقف وحدها ضد استراتيجية القوة التي تبنتها الدول الكبرى مع دول المنطقة ومع دول المناطق الأخرى.

ثم هل كانت القيادة العراقية متأكدة من أنها قادرة وحدها دون تأييد وطني وتأييد قومي ولا حتى تأييد أو إسناد دولي وبتلك السياسة والاستراتيجية المرتجلة التي اتبعتها هل كانت تتمكن من الوقوف وحدها أمام تلك القوات الأميركية في ظل التخاذل والسكوت من القيادات العربية المرتبطة المصالح مع المعتدي؟

ثم أما كان من الأجدر أن تتبع القيادة السياسية العراقية استراتيجية (شعرة معاوية) حينما قال: "لو كان بيني وبين قومي شعرة لما انقطعت، أرخي إذا جروا وأشد إذا أرخوا".

أما كان من الأجدر بالقيادة العراقية أن تتحاشى إدخال العراق في حروب دامية مدمرة آخرها كان مع أقوى دولة في العالم؟

كل هذه أسئلة طرحت على القيادة العراقية من قبل أطراف واعية مخلصة في الداخل والخارج أطراف وطنية وقومية ودولية ولم تجد آذان صاغية ولا قلوب مخلصة واعية، بل اتهمت القيادة تلك الأطراف باتهامات باطلة تارة بالجبن وأخرى بالعمالة والخيانة وأخرى بالتصفية والعقاب.

إذاً كيف يكون الجهل بالاستراتيجيات السياسية الوطنية والقومية والدولية إذا لم تكن السياسة والاستراتيجية اللتين اتبعتهما قيادة العراق جهلاً وعمى مدقع؟

لهذا سقط النظام وسقط العراق قيادة وشعباً وضاع العراق مع ضياع شعبه وثروته وسيادته وكل ما بناه خلال قرن من الزمن منذ عام 1921 مع ضياع قيادته التي قادته إلى هذا المصير.

ولكن!! الأمل باقٍ بالله وبهذا الشعب وبهذه الأمة، والأمل مبني على ما تملكه من عقول نيرة وأكتاف الغيارى من أبنائه المخلصين في هذا العراق، مهد الحضارات وشعبه المؤمن المجاهد القوي الأبي مهما كانت انتماءاتهم وقومياتهم أو مذاهبهم، فهم المسؤولون اليوم عن هذا العراق وعن هذا الشعب الواحد على الأرض الواحدة.

الفصل الثاني

الأسباب المتعلّقة بالمصالح الدولية في سقوط النظام في العراق

إن العلاقات بين الدول والشعوب في يومنا هذا تطورت من علاقات تعتمد المبادئ والقيم إلى علاقات تعتمد المصالح، ورسمت استراتيجيات الدول على هذا الأساس وخاصة الدول الغربية وفي مقدمتها أميركا التي استطاعت أن تطور قدراتها وقوتها الرادعة إلى درجة مكّنتها من أن تسيطر على أي منطقة في العالم باستخدام سياسة القوة والردع، ولا يمكن أن ننكر هذا مهما حاولنا ومهما تمسكنا باستراتيجية المبادئ والقيم، فإن كنا نحن العرب والمسلمين نؤمن ونتمسك بهذه الاستراتيجية القيمية والأخلاقية فغيرنا من دول العالم الكبرى خاصة كانت قد تخلت عنها منذ زمن بعيد وكان علينا أن نعي ونفهم هذا التبدل بالاستراتيجيات ونخطط لمواجهته بعقلانية.

ولما كنا نحن في العراق وغيرنا في المنطقة العربية نمتلك القدرة على المضي باتباع استراتيجية القيم والمبادئ والأخلاق والدين القويم فإننا نمتلك إلى جانب ذلك كله القدرة

على المضي باتباع استراتيجية المصالح لكوننا دولاً وشعوباً وهبها الله القدرة الاقتصادية والثروات الاستراتيجية النابعة من خلال ترابها (النفط والمعادن والخيرات البشرية والزراعية والمياه والموقع الاستراتيجي) فلماذا لم نتعلم ونطبق استراتيجية المصالح المتبادلة المبنية على استراتيجية المبادئ والقيم التي يمكن أن نفرضها بمرونة تامة خلال تعاملنا مع دول العالم الأخرى التي نتعامل معها.

ثم لماذا ذلك التعنت وتلك الصلابة وعدم المرونة مع دول العالم الكبرى والوقوف ضد سياساتها حتى الجائرة منها بتلك الصلابة؟ فأين هي الحكمة والقدرة السياسية والدبلوماسية لمواجهة تلك المواقف من تلك الدول؟

أما كان هنالك وسيلة غير الحروب في التعامل معها؟ أما كان من الأجدر تعزيز الموقف السياسي والاقتصادي بيننا وبين إخواننا من الدول العربية والإسلامية ودول العالم الحرة الأخرى حتى التي عادتنا تحاشياً لدخول الحرب معها؟

أين هي الاستراتيجية السياسية لدول غير قوية عسكرياً ولكنها قوية بقدرتها الاقتصادية وموقعها الاستراتيجي لتمسك بعنق الدول التي تحاول الاعتداء عليها، ولكن ليس بمواجهة الحرب بالحرب.

لقد علمنا علماؤنا في السياسة أن الحرب هي آخر

القرارات السياسية لحل المشاكل الدولية وهنا نقول هل استنفذت القيادة السياسية العراقية كل تلك الوسائل التي سبقت قبول دخول الحرب مع دولة كبرى مثل أميركا؟

ثم كان ولا بد أن تعلم القيادة العراقية أن الإعداد لحل المشاكل الدولية بعدم اللجوء إلى الحرب لا تكون ابنة ساعتها أو في المراحل الأخيرة من التداول والتعامل والمفاوضات، بل هي مبدأ استراتيجي تتخذه القيادة السياسية منذ استقلال بلادها وتتداوله سلطة بعد أخرى وتخطط له وتطور استراتيجيتها على أساسه مع السنين، لا أن تنسف كل قيادة ما بنته سابقتها من أسس واتفاقيات دولية مبنية على هذا الأساس فالشعب والوطن لا يمكن أن يكون مختبراً لتجارب سياسية تفترضها كل قيادة بعد الأخرى بل هما (الشعب والوطن) مختبراً لسياسات ثابتة متكاملة تطبق مراحلها وتتكامل وتتطور على مرّ السنين من قبل القيادات المتتالية على قيادة البلد.

وهنا يكمن الخطأ الاستراتيجي في قياداتنا، لا في العراق فقط بل وحتى في الوطن العربي ودول العالم الثالث فكلما جاءت فئة لعنت أختها والضحية كانت ولا زالت هي الشعب والوطن.

إذاً فالمصالح اليوم قد فرضت نفسها بين دول العالم ولا

يمكن لأي بلد أن يبني استراتيجيته دون أن يأخذ بنظر الاعتبار مصالح الدول الأخرى المستفيدة بل والمعتمدة على موارده وخيراته، وفي هذا المجال تبرز القدرة والحكمة السياسية للقيادات في التعامل مع دول العالم بحيث يتوازن الأخذ والعطاء بين الدول على أساس من العدالة مع العلم أن العدالة اليوم أصبحت نسبية أيضاً. إذاً فلا بد من أن نوازن بين ما نأخذه وما نعطيه تحت ظروف الضغوط الدولية للدول المسيطرة على العالم دون دفع البلاد إلى الدخول في الحرب مع أي دولة، بل بالعكس نحاول الوصول بالبلاد والشعب إلى المرحلة التي تجعله مؤثراً بقدراته الطبيعية والبشرية والاقتصادية والتكنولوجية بما يجعله محصناً ضد أي ضغط أو ابتزاز من قبل الدول الجائرة التي تعتبر نفسها كبرى.

هذا لا يتم إلا إذا قامت القيادات باستثمار طاقاتها المادية والاقتصادية وثرواتها الطبيعية بشكل يؤمن لها التطور الاجتماعي والعلمي والصناعي التكنولوجي، بما يحقق للشعب التقدم والتطور واللحاق بمسيرة المجتمع الدولي الناهض في هذا العصر حتى ولو تحت ضغوط الدول الكبرى، ولنا في ذلك أمثلة واضحة بما آلت إليه دول دمرتها الحرب العالمية الثانية (اليابان – ألمانيا) وما أصبحت عليه الآن من وضع استراتيجي اقتصادي وعلمي وتكنولوجي وصناعي متطور

وضعها في موقف سياسي مؤثر في السياسة الدولية وأعطاها قدرة تأثير عالية في السياسة الدولية.

فلماذا لم نتمكن نحن من هذا كله ولم نعمل على اتباع هذه الاستراتيجيات التي طبقها غيرنا، وهم دوننا قدرة من الناحية المالية والثروات التي نملكها بل ونملك مقومات أخرى عريقة غيرها.

ثم لماذا لم تفهم القيادة العراقية أن لأميركا استراتيجية للسيطرة على العالم سياسياً واقتصادياً وصولاً إلى السيطرة على العالم وفرض ديكتاتورية القطب الواحد.

أما كانت القيادة العراقية تدري أنها تمتلك أكبر احتياطي نفطي في العالم وأن لأميركا أطماع في هذه الثروة الاستراتيجية، التي بالسيطرة عليها ستتمكن من مسك أعناق دول أوروبا بعد أن سيطرت على نفط الخليج ونفط منطقة بحر قزوين ونفط دول أفريقية وأميركية. وأن من يملك مثل هذه الطاقة عليه أن يتبع استراتيجية هادئة يؤمن من خلالها مصلحة شعبه ومصلحة دول العالم الأخرى دون اللجوء إلى استخدام هذه الثروة كسلاح حيث مضى زمن هذا الاستخدام لهذه الطاقة وبدأت المرونة السياسية وتبادل المصالح يلعبان دورهما بشكل فعّال.

ثم أما كانت القيادة العراقية تعلم أن استراتيجيتها أولاً

وآخراً يجب أن تبنى على أساس حفظ السيادة وإسناد القضايا العربية وفي مقدمتها قضية فلسطين. إذاً أما كان الأجدر بها أن تعمل على تحاشي الحروب والاحتفاظ بقدراتها للمعارك الرئيسية مع العدو الصهيوني بعد سنين وأن خسرانها الحرب مع أميركا سيقرب هذه السنين ويسهّل للعدو الصهيوني الوصول والتوسع إلى العراق حتى ولو عبر الحدود الأردنية أو من فوقها، وليس شرطاً أن يكون التوسع بالأرض بل بالنفوذ وهذا ما جرى فعلاً وما يجري الآن على أرض العراق، حيث يرتع الآلاف من عناصر الموساد الصهيوني وشركاته بكل حرية في كل أرجاء العراق.

هذه كلها أعمدة كان يجب أن تعتمد القيادة العراقية عليها في بناء الاستراتيجية العراقية فتعمل على تنمية المجتمع والطاقات واستغلالها الاستغلال الأمثل والاحتفاظ بها ليوم الفصل القادم وتسبق الزمن وتسبق الأعداء في هذه التنمية وهذا التطور، فتقود العراق على أسس ديمقراطية وتستثمر ثرواته وتنعمه بها بعدالة وتصرف المليارات للتنمية والتطوير والتصنيع والتقدم العلمي والتكنولوجي لا للاستعداد للحروب.

فبعد هذا كله ألا يكون هذا السبب سبباً مباشراً لسقوط النظام وهل لا يكون سبيلاً ممهداً للعدوان والاحتلال، فالجواب أتركه للقارئ الكريم!!

الباب الخامس:

الأبعاد والاستراتيجية الدولية بعد احتلال العراق

إن احتلال العراق وسقوط النظام فيه لم يكـن لأسـباب عسكرية فقط ولا لأسباب سياسية خاصة بالطرفين بل كانت ولا تزال وستبقى أسباباً استراتيجية رسمتها وعملـت علـى تحقيقها القوة التي تعتبر نفسها اليوم القوة الوحيدة في العـالم (أميركا) والدول التابعة لها، والتي تريد أن تأكل فتات الغنائم التي ترميها لها أو الدول التي آمنت واستسلمت لاستراتيجية (القوة العظمى الوحيدة الجانب في العالم).

إن عجز دول العالم الكبرى الأخرى والأمـم المتحـدة عن الوقـوف صـفاً واحـداً تجـاه هـذه القـوة الغاشـمة وعجزها الواضح وفقدانها لوسائل التأثير في السياسة الدولية وتضارب المصالح فيما بينها، أدى إلى تعميق هـذا العجـز والتباطؤ في اتخاذ المواقف لمواجهة هذه التهديـدات للسـلم العالمي.

فالدول الأوروبية الكبرى التي كنا نتوقع أن يكون لها التأثير الكبير في السياسة الدولية والقدرة على منع دول التحالف بالانفراد بالعراق والإقدام على غزوه واحتلاله وتدميره بالقوة رغم معارضة الأمم المتحدة ومجلس الأمن نراها اليوم عاجزة عن منع العدوان وإدامة الاحتلال وعاجزة عن إنقاذ العراق وشعبه من المآسي والتدمير المستمر لكل بناه التحتية وقتل شعب بالجملة دون تفريق بين مدني وعسكري وبصورة وحشية، نرى كل ما فعلته وتفعله اليوم هو الإعراب عن المعارضة فقط دون اتخاذ أي إجراء ولو سياسي رادع ضد العدوان والمعتدي إذ لم يكن في تقديراتها الاستراتيجية أن تخرج دول التحالف عن الإجماع الدولي ضد العدوان على العراق واحتلال أرضه والقضاء على سيادة دولة مستقلة عضوة في الأمم المتحدة لأسباب كاذبة.

إن الواجب كان يحتم ويلزم دول العالم التي تقول إنها حرة والأمم المتحدة التي تقول إنها راعية لحرية الشعوب وسيادة الدول أن تضع في حساباتها هذه الاحتمالات وتعد وتضع ما يجب اتخاذه من إجراءات فعّالة ورادعة لمنع هذه الظاهرة الخطيرة التي برزت الآن في العالم (العدوان والقضاء على دولة ذات سيادة بالقوة) وأن تضع في حساباتها

الخطوات التي يمكن أن تقدم عليها دول التحالف من عدوان آخر على دول أخرى يؤثر احتلالها على مصالحها هي والعمل على منعه بالطرق السلمية وبالقدرات التي تتمتع بها.

ولكن الظاهر أن دول الأمم المتحدة كلها على حدٍّ سواء كبيرها وصغيرها قد آمنت بضعفها أمام قوى التحالف مع علمها مسبقاً وقبل العدوان بما خططت له ومنذ زمن بعيد لتغيير أنظمة دول الشرق الأوسط برمته وحتى أنظمة دول العالم الثالث الأخرى في العالم للسيطرة على العالم كله وفرض استراتيجيتها الإمبريالية عليه والقضاء على كل الأنظمة الحرة وحتى الأنظمة في الدول الكبرى (كالصين وروسيا والهند).

إن احتلال العراق وإسقاط النظام فيه وسلب حرية شعبه بالقوة هو صورة مصغرة لعملية التغيير، بل هو الحلقة الأولى لعملية التغيير المرسومة لكافة الأنظمة في هذه المنطقة الحساسة من العالم وهي أيضاً صورة مصغرة لعملية التغيير في أنظمة دول كبرى أخرى يأتي دورها في التغيير مستقبلاً كما حدث في الاتحاد السوفياتي السابق والمحتمل أن يحدث في الصين وباكستان والهند.

إن لعملية احتلال العراق وإسقاط النظام فيه أبعاد

استراتيجية سياسية واقتصادية وإيديولوجية فكرية إقليمية ودولية تجملها في الفصول التالية:

- الفصل الأول – الأبعاد السياسية الدولية.
- الفصل الثاني – الأبعاد الاقتصادية الدولية.
- الفصل الثالث – الأبعاد الإيديولوجية الدولية.

الفصل الأول

الأبعاد السياسية الدولية لغزو العراق

كما مرّ ذكره في أسباب غزو العراق وإسقاط النظام فيه على مستوى العراق تبرز هنا الأبعاد السياسية الدولية لهذا الغزو وهذا التغيير لا على مستوى العراق فقط بل وعلى مستوى بلدان وأنظمة دول الشرق الأوسط العربية وحتى الموالية منها لأميركا ولاءً مطلقاً، لأن هذه الأنظمة أصبحت عتيقة ومتخلفة بسياساتها ولا تنسجم في قيادتها لشعبها مع متطلبات العصر الذي تتذرع به أميركا وحلفاؤها وكثير من دول العالم الكبرى الأخرى ولأنها عجزت عن تطوير أنظمتها السياسية نحو الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان وبقيت تقود بلدانها وشعوبها بأساليب ديكتاتورية فردية تسلطية وبأنظمة عشائرية بعيدة كل البعد عن أي مستوى من الديمقراطية إضافة إلى ما هي عليه من تخلف في التعامل السياسي مع دول العالم الأخرى القائم على المصالح المتبادلة والاحترام المتبادل، واتباع البعض منها سياسة دولية غير مستقرة فتارة تميل بسياستها إلى جناح من الدول الكبرى

وأخرى تميل إلى جناح ثاني من تلك الدول، وكأن السياسة عندها مفتاح كهرباء تبدله متى شاءت وكيفما شاءت تنير مجالاً وتطفئ آخر بعيداً عن أي حساب استراتيجي وما تخلفه هذه السياسات المتأرجحة من آثار عليها وعلى بلادها وعلى غيرها من الدول العربية الأخرى.

هذه السياسة غير المستقرة كانت هي الثغرة التي نفذت من خلالها أميركا لتطبيق استراتيجيتها القاضية بتغيير هذه الأنظمة العربية (العتيقة وغير المتطورة مع نفسها ولا مع شعوبها ولا مع المصالح الدولية) والعمل على تنصيب أنظمة ورؤساء آخرين أكثر طاعة وولاءً لها، تحقق من خلالها مصالحها كاملة باسم الديمقراطية والحرية وإيجاد ساحة سياسية مفتوحة في المنطقة تجول فيها هي وحلفاؤها وتتصرف بثرواتها ومقدراتها وتتحكم بسيادتها وقرارها السياسي، وفي الوقت نفسه تعدها لتكوّن قاعدة رصينة للانطلاق منها بأي اتجاه آخر تحقّق من خلاله مصالحها وهذا ما أطلقت أميركا عليه اسم (النظام العالمي الجديد)، والجديد هنا معناه خلق أنظمة جديدة عميلة تابعة مطيعة تدور كلياً في فلك الاستراتيجية السياسية الأميركية في السيطرة على العالم، وتعزيز الجبهة الجديدة هذه للوقوف بوجه القوى الأخرى الكبرى في العالم وفي المقدمة دول أوروبا العجوز (كما

سمتها أميركا) والدول والأنظمة الشيوعية في المنطقة الشرقية من العالم.

إذاً كانت عملية غزو العراق وتغيير النظام فيه الخطوة الأولى السياسية على طريق تطبيق استراتيجية سياسية واسعة بعيدة المدى والأهداف، مرسومة لدول وشعوب المنطقة والتي تكون كقاعدة انطلاق لتطبيق هذه الاستراتيجية مع دول المنطقة الأخرى، الغاية منها خلق رأي عام دولي واسع ومفروض في العالم العربي ينضم إلى الرأي العام الذي خلقته أميركا في أوروبا الشرقية يقف إلى جانبها دوماً ويكون عوناً سياسياً لها في المحافل الدولية لغرض تطبيق استراتيجيتها السياسية لإكمال الوصول إلى هدفها الأكبر (دولة القطب الواحد) القائد للعالم والمتحكم بمصير الشعوب.

فالمتوقع إذاً من هذه السياسة أن يكون هناك تغييرات كثيرة متتالية في أنظمة دول المنطقة وتغيير استراتيجيتها السياسية لتنصب جميعاً في الاستراتيجية السياسية للدولة الكبرى في العالم التي هي أميركا.

والواضح الآن أن يشمل تسلسل هذا التغيير إيران ثم سوريا وبعض الدول العربية الأخرى في الجزيرة العربية وشمال افريقيا. أما دول الخليج فإنها تعتبر في نظر أميركا دويلات شكلية تدور في فلكها طائعة ولا تحتاج إلى جهد كبير

لتوجيه قياداتها بأي اتجاه تفرضه وفق متطلبات الموقف، وكما هو مرسوم في استراتيجيتها السياسية وتكاد تكون محتلة الآن بالأساطيل والقوات الأميركية التي تسيطر على شواطئها وموانئها وحتى أراضيها وسيادتها، تعمل بما تمليه عليه أميركا وتستطيع أن تصب الحكم فيها شكلاً ومحتوى في أي قالب تريده وكأنها لا سيادة لها في أراضيها إلا تسخير ثرواتها لخدمة تنفيذ الأهداف الأميركية. وما مشروع الشرق الأوسط المطروح من قبل أميركا الآن إلا مثلاً حياً حديثاً لما طرحناه ومشروع الإصلاح المزعوم الذي تريده أميركا لنا في المنطقة باسم الديمقراطية والحرية وحقوق المرأة وحقوق الإنسان وغيرها، والذي تريد أن تفرضه على دول المنطقة لأن حكامها عاجزون فعلاً عن إجراء أي إصلاح سياسي في بلدانهم لأن هذا يهز عروشهم ويعرّض قياداتهم ومكاسبهم الشخصية للخطر.

الفصل الثاني

الأبعاد الاقتصادية الدولية لغزو العراق

هنا يكمن الخطر الذي دفع دول أوروبا الكبرى (ألمانيا وفرنسا وروسيا) إلى الوقوف ضد غزو العراق لا رحمة به ولا عطفاً على شعبه ولا حرصاً على تطبيق القوانين الدولية التي تحرّم الغزو والعدوان بالقوة والقضاء على سيادة دول مستقلة عضوة في الأمم المتحدة، بل حرصاً على مصالحها الاقتصادية الآنية والمستقبلية في المنطقة.

المصالح الحالية هي تلك العقود الكبيرة النفطية وغير النفطية التي بينها وبين العراق قبل العدوان، والمصالح البعيدة المستقبلية هي خوفها من فقدان الكثير من المشاركة في اقتسام الثروة الاستراتيجية للعراق في مجال النفط والتجارة والحصول على حصة مناسبة من عملية إعادة إعمار العراق لأن العراق الآن يعتبر مصدراً أساسياً وثرياً للطاقة النفطية والثروات الكامنة الأخرى التي ظهرت فيه وسوقاً واسعاً يعتمد على الاستيراد للكثير من السلع الاستراتيجية التي تنتجها هذه الدول، وفي مقدمتها الطاقة التكنولوجية

إضافة إلى السلع الاستهلاكية الكثيرة التي كان يحتاجها العراق باعتباره بلداً متأخماً في الإنتاج في مجالات كثيرة وبلداً مستهلكاً في مجالات كثيرة أخرى، خاصة بعد العدوان الذي دمّر كل البنى التحتية وحرق كل أرض العراق وجعل منه أرضاً جرداء خاوية خالية من كل مقومات الحياة.

إذاً فحرص دول أوروبا ومن وقف معها لم يكن لأجل عيون العراقيين والعراق، ولا حتى لأجل عيون العرب ككل، بل من أجل المصالح الموجودة لها الآن في العراق والمصالح المتعاقد عليها مع النظام السابق والتي تلوح بها أميركا بوجه هذه الدول لنيل تأييدها أولاً والاستئثار بها لنفسها وشركاتها ولأعوانها فقط.

ثم هي مناورة من قبل دول أوروبا ممثلة بدول الاتحاد الأوروبي للضغط على أميركا الآن وبعد الغزو للحصول على حصة مناسبة من تكاليف وعقود إعادة إعمار العراق الذي خرّبته أميركا لتعود فتعمل على إعمار ما خربته ثانية بما يناسبها من مشاريع وبتكاليف باهظة تستنزف واردات العراق نفسه، مدعية هي ودول أوروبا ودول أخرى من وراء المحيطات أنها تساهم في إعمار العراق الذي فقد كل مقومات الحياة الاقتصادية سواءً على أيدي الغزاة المحتلين أو على أيدي أعوانهم ممن شارك في التخريب فعلاً أو سكت على

الغزو والعدوان بهذه الطريقة الوحشية.

هذا البعد الاقتصادي الاستراتيجي الأميركي لعملية الغزو والاحتلال سيكون صورة توضع أمام أو سيفاً مسلّطاً على رقبة كل دولة من دول المنطقة (ردع وتهديد ثم حصار ثم غزو) فإما أن تدخل في مدار فلك الولايات المتحدة اقتصادياً وتقدم لها ثرواتها على طبق من ذهب أو أن يكون مصيرها كمصير العراق غنيمة سهلة يتقاسمها الكبار في الغرب.

أمّا البعد الاقتصادي الأكبر والأعظم لهذا العدوان فيكمن في سيطرة أميركا على أكبر احتياطي للطاقة النفطية في العالم بعدما كانت قد سيطرت على نفط منطقة قزوين وأميركا الجنوبية وأفريقيا، واستخدام هذه السيطرة على هذه الطاقة كسيف تسلّطه على رقاب الدول الكبرى الأخرى وتستعمله كعامل ضغط وردع تجاهها، لإجبارها على الانصياع لمخططاتها الاستراتيجية في السيطرة على العالم سياسياً واقتصادياً وإيديولوجياً وهنا يكمن الخطر الكبير الذي يجب التنبيه إليه والذي لا أعتقد أنه غائب عن قادة دول أوروبا ودول شرق آسيا (كاليابان) وحتى الدول العربية والذي تريده الولايات المتحدة كسلاح رادع في كل حروبها المستقبلية.

فإذا استطاعت أميركا السيطرة على نفط العراق اليوم وعلى نفط إيران غداً، وهي الآن مسيطرة على نفط الخليج

وبحر قزوين فما سيكون حال الدول الأخــرى فــي العــالم وخاصة دول أوروبا واليابان التي تعتمد على هذه الطاقة في كل صناعاتها وحياة شعوبها غداً.

ولا بد أن يعلموا ويتوقعوا ما ســتفعله أميركــا ومعهــا الصهيونية العالمية بالعالم كله وما سيكون عندئذ حال الدول الكبرى الأخرى ومن سيكون تابعاً وخاضــعاً للاســتراتيجية الأميركية وإلى أيــن ســيكون مصــير الــدول الصــناعية وهي تستجدي قطرات النفط مــن أميركــا مقابــل قطــرات دم شعوبها.

الفصل الثالث

الأبعاد الإيديولوجية والفكرية

الكل يتكلم اليوم ويسأل على من سيكون الدور في الإيديولوجية الفكرية في العالم بعد انتهاء الشيوعية في أوروبا وكأنهم لا يدرون أو يتجاهلون بأن ما خطط للاتحاد السوفياتي وشيوعيته، قد خطط منذ زمن للقومية العربية والإسلام ودعاتها، وكيف تمزقت وتدهورت وأصبح من يدعو للقومية العربية والإسلام إرهابياً أو مارقاً وخاصة في الوطن العربي قبل دول المناطق الأخرى وقبل أميركا وأوروبا وعند قادة الدول العربية أنفسهم قبل غيرهم.

فالآن جاء الدور للقومية العربية والإسلام والمسلمين في الوطن العربي والعالم الإسلامي باعتبار هاتين الإيديولوجيتين (القومية والإسلام) العقيدتان الراسختان الجذور في الوطن العربي والعالم الإسلامي والوحيدتان الباقيتان للأمة العربية من سلاح تقف به في وجه العدوان الأميركي والصهيونية اليوم وحتى الغرب غداً.

أما تطبيق أميركا وحتى الغرب لإيديولوجية العولمة

واستراتيجية القطب الواحد فهو السلاح الفتاك للقضاء على الإيديولوجية القومية والإسلام، لهذا نجد دول التحالف ومعها دول الاتحاد الأوروبي ودول الحلف الأطلسي تقودها الولايات المتحدة وتسعى للقضاء على الإيديولوجية القومية العربية والإيديولوجية الإسلامية بكل الطرق والوسائل، بالإعلام وبالعولمة والتمهيد لإفشال النظم القائمة بشتى الوسائل إلى أن وصلت إلى استخدام القوة أولاً بزرع السرطان الصهيوني في قلب الوطن العربي (فلسطين) والذي به شطرت المنطقة العربية إلى شطرين، أولاً بتبني هذا السرطان ومنحه الطاقات الواحدة تلو الأخرى كلما وجدت فيه ضعفاً حتى صار القوة الوحيدة المهيمنة في المنطقة والمسيطرة على أوضاعها خاصة بعد أن غزت العراق ودمرت كل قدراته السياسية والاقتصادية والعسكرية بعد أن كان جيشه أقوى جيش في المنطقة والسند الفعال للمقاومة العربية في كل الأقطار العربية.

وثانياً بضربها لكل الحركات التحررية المعتمدة للاستراتيجية القومية والإيديولوجية الإسلامية وتشويه صورتها أمام الشعب العربي والشعوب الإسلامية وإبراز وتضخيم عوامل فشلها وعدم صلاحيتها للتطبيق أمام شعوبها، حتى تعالت بعض الأصوات الضعيفة أو الدخيلة والعميلة اليوم بعدم جدوى التمسك بالإيديولوجية القومية

والإسلامية من أفواه عميلة مسمومة عنصرية مأجورة.

وثالثاً، العمل على تشويه الصورة الناصعة للقومية العربية والإسلام بإلصاق التهم ووصفها بالإرهاب والعنف تارة وبالتطرف والسلفية تارة أخرى والعمل على تجريدها من قدراتها الكامنة في الشعوب المؤمنة بها وذلك من خلال تنصيب أنظمة متطرفة فردية ديكتاتورية أو عشائرية أو عنصرية وإسنادها لتقوم بالاستنابة عنها في كبح جماح شعوبها واغتصاب حقوقهم الإنسانية والديمقراطية وحكم شعوبها بأساليب ديكتاتورية بوليسية من أجل تغيير مفاهيمهم والإضرار بمفاهيم الإيديولوجية القومية والإسلامية التي آمنوا بها منذ خلقوا على هذه الأرض وسلخ هذه الشعوب عن هويتها القومية العربية وعن الإيمان الكامل بمفاهيم الدين الإسلامي الحنيف مصدر العدالة والإنسانية والحقوق بالأساليب التالية:

أولاً: تشويه الصورة الحقيقية للقومية العربية والإسلام.

ثانياً: التدخل في المفاهيم التعليمية والمناهج والعمل على تغيير أو حذف المفاهيم القومية والإسلامية لإعادة تربية الأجيال القادمة على مفاهيم إيديولوجيته جديدة تخدم مصالحهم وهيمنتهم الفكرية على الأجيال الجديدة في الوطن العربي والإسلامي.

ثالثاً: تغيير التاريخ العربي والإسلامي وحذف كل ما يعزّز الروح القومية الإسلامية في الأجيال القادمة وإبراز صور غير حقيقية لأصالتها وأساليب تطبيقها الصحيحة والحقيقية.

رابعاً: التدخل في تغيير التقاليد الأصيلة الأدبية والأخلاقية والاجتماعية لشعوب المنطقة وإبعادها عن القيم القومية والإسلامية التي تجذرت في نفوسهم وتربوا عليها وآمنوا بها عبر الأجيال والتاريخ وإحلال المفاهيم والقيم الغربية والممارسات غير الأخلاقية من أجل تفسيخ المجتمع العربي والإسلامي.

خامساً: العمل على إفشال التجارب القومية والإسلامية في المنطقة ودول العالم بأي طريقة كانت حتى ولو بالقوة، وإبرازها بصورة التجارب الفاشلة من أجل زعزعة إيمان الشعوب بها وبقياداتها.

سادساً: تعميم الإيديولوجية الغربية والفكر الغربي بالوسائل المتعددة والتي آخرها طرح المشاريع التي تساعد على القضاء على هذه الإيديولوجيات العربية والإسلامية وأدبياتها بطرح مشاريع العولمة تارة ومشروع الإصلاحات المفروضة على حكام ودول وشعوب المنطقة بالصورة التي تحقق لهم الهيمنة على هذه الشعوب وربطها بفلكها وتبعيتها لها.

سابعاً: إقامة الجدران السميكة المتواصلة بين الحضارات الغربية والعلم والتكنولوجيا وبين المجتمعات العربية والإسلامية وحرمانها من التطور واللحاق بالحضارات العلوم والتكنولوجيا الأخرى وإبقائها متخلفة عن ركب الحضارة بل والأكثر من هذا القضاء على ما تتوصل إليه هذه الشعوب من تقدم بأساليب شتى حتى تصل إلى الحرب عليها وتدمير كل مقومات التطور فيها باسم الإرهاب وباسم استخدام وإنتاج أو مجرد التفكير بالإنتاج لوسائل التكنولوجيا الذرية حتى ولو كانت لأغراض سلمية.

ثامناً: تعميم وسائل وطرق التفسخ الخلقي والإباحية في المجتمعات العربية والإسلامية باسم الحرية والديمقراطية تارة وباسم حقوق الإنسان تارة أخرى عن طريق وسائل الإعلام المسموعة أو المرئية التي تغطي بأقمارها سماء كل تلك الشعوب والدول وموجهة فعلاً إليها.

تاسعاً: تربية وتنمية عناصر عميلة وإعدادها ونشرها في مراكز حساسة في المجتمعات العربية والإسلامية وإسنادها للوصول إلى مراكز القرار في المجتمعات والمواقع الحساسة السياسية والاقتصادية والفكرية والتعليمية وخلق الجمعيات الخاصة بها وتقديم الدعم السخي لها ولمن ينتسب إليها كالنوادي والكليات الأجنبية في البلاد العربية والإسلامية.

إذا ما نظرنا إلى هذه الأساليب ومثلها أخرى كثيرة والتي آخرها استخدام القوة والإبادة الشخصية أو الجماعية لـرواد الإيديولوجية العربية والإسلامية، أو تصفيتهم بـأي طريقـة كانت لوجدنا أنها خلاصة "أفكار صهيون" الذي تبناها ويتبناها قادة شعب الله المختار كما يدّعون للسـيطرة علـى العـالم وتوجيه سياسات الدول الكبرى بهذا الاتجاه تحت تأثير المال والاقتصاد والإعلام المسيطرين عليه.

إذاً هذا هو البعد الفكري والإيديولوجي والحضاري الذي جاء لتعميق الهوة بين الإيديولوجيات والحضارات الغربيـة وبين الإيديولوجيات والحضارات العربية والإسـلامية، وأن لهذا البعد تخطيطاً خبيثاً الغاية منه إبقاء شعوب المنطقة فـي تأخر وجهل مدقع أو أن تتخلى عن عقائدها ودينها وأخلاقها، وكل ما يتعلق بإيديولوجيتها الفكرية والدينيـة والاجتماعيـة والقومية حتى وبدون عوض عنها بما يفيدها لتبقى متـأخرة فكرياً وعلمياً وحضارياً وحتى تبقى دوماً معتمدة على الدول الغربية وبالذات أميركا فتبقى عاجزة عن اسـتثمار طاقاتهـا المادية والبشرية وحتى المعنوية المستمدة من عقيدتها ودينها فتكون بل وتبقى دوماً تابعة مطيعة للقوى الغاشمة المستعمرة المستغلّة تقدم كل أرضها وشعبها وخيراتها لها طائعـة دون ثمن يذكر.

هذه التغييرات على ساحة العالم العربي والإسلامي أما على الساحة الأوروبية فتكون التغييرات كالآتي:

لما كانت المصالح الذاتية للدول اليوم هي الحاكمة والموجهة لكل الاستراتيجيات السياسية والاقتصادية والإيديولوجية فلا بد أن يكون في يد الطرف الذي يريد الهيمنة على العالم من القوة ما يساعده على السيطرة، وبما أن أميركا الدولة العظمى اليوم مسيطرة على الثروة النفطية لدول الخليج ودول بحر قزوين والدول النفطية في أميركا اللاتينية وأفريقيا إضافة إلى أهمية موقع دول الشرق الأوسط النفطية الاستراتيجي المهم. فباحتلالها العراق هذا البلد الخصب بخيراته النفطية الغزيرة وموقعه الاستراتيجي وسط منطقة الشرق الأوسط والعالم تكون قد تمت لها السيطرة على أعظم مصادر الطاقة التي تحتاجها ماكنة التقدم في أوروبا وخاصة الدول الكبرى الصناعية مثل (فرنسا وألمانيا وإيطاليا والصين واليابان وحتى روسيا) فستكون مستقبلاً خاضعة لكل ما تفرضه عليها الولايات المتحدة من هيمنة مخطط لها في استراتيجيتها الاقتصادية وبالتالي السياسية.

هذا إذا ما بقيت هذه الدول على موقفها المتخاذل من السياسة الأميركية في منطقة الشرق الأوسط وإلا فسيكون مصيرها لا يختلف عن مصير دولة كبرى أخرى احتلتها

أميركا في الحرب العالمية الثانية كاليابان ودول شرقي آسيا والهند والباكستان، دون الدخول في حرب عالمية ثالثة تعمل آلات ومكائن صناعتها وتطورها في خدمة الاقتصاد الأميركي ولأمدٍ لا يعلمه إلا الله، فبعد ستين سنة من الحرب العالمية الثانية واليابان وألمانيا ترزح تحت سيطرة القواعد العسكرية الأميركية وأساطيلها وجيوشها حتى اليوم.

أما ما ستكون عليه هذه التغييرات بالنسبة للدول التي تعتمد الشيوعية إيديولوجية لها حتى اليوم (كالصين) الدولة الكبرى في العالم فهي الهدف الرئيسي لكل هذه التغييرات في الشرق الأوسط والغرب، فهي الهدف المستقبلي والمتفق عليه بين الدول الإمبريالية بعد أن ذاب الاتحاد السوفياتي.

إن ما أشرنا إليه سابقاً من تقديم وتضييق الطوق الاستراتيجي المحيط بالصين من المحيط بها حالياً بدول حلف الأطلسي وتركيا والبحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي والهند.

هذا الطوق القديم جرى زحفه وتقديمه اليوم ليكون على الحدود مع الصين. زحف إلى الدول الشرقية للاتحاد السوفياتي السابق وجرى أخيراً ضمها إلى الحلف الأطلسي في الشمال. وإلى الباكستان وأفغانستان والعراق ودول الخليج وغداً إيران من الغرب. وإلى الهند وأندونيسيا ودول شرق

آسيا من الجنوب. واليابان وكوريا الجنوبية من الشرق.

وغداً ستكون أميركا قد أكملت تصفية الجيوب التي خلفتها وراء هذا الطوق في تركيا وسوريا وإيران فتكون قد أكملته وأتمت وصله وشدّه وإحكامه على نحر النظام الشيوعي في الصين من الخارج والتعرّض إليه من الداخل ليس باستخدام القوة بل بالأداة الاقتصادية الفعالة (النفط والطاقة والتكنولوجيا) وكذلك بإثارة (رنّة الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان) على غرار ما فعلت في نحر وذبح الاتحاد السوفياتي وإنهاء نظامه، وما سكوت الولايات المتحدة على الباكستان والهند لامتلاكهم الأسلحة الذرية والأسلحة المحرمة إلاّ لأنها أخذت بل وضمنت أخذ مفاتيح تلك الأسلحة بيدها لاستخدامها من قبلها عند ساعة الصفر وبعد أن تكون قد أكملت طوقاً ذرياً قريباً حول الصين واستخدامه من قبلها خير من أن تدفع بصواريخها الذرية من أميركا عبر المحيطات أو من على أساطيلها البعيدة أو قواعدها المسندة بقدرات شعوب وحكومات كبيرة كالهند والباكستان وبذلك تكون قد أحكمت الحصول على السبق بالضربة عند الاضطرار إليها في يوم ما.

من كل ما تقدم في مجال هذه التغييرات التي من المخطط لها أن تحدث في العالم غرباً وشرقاً لدول كبرى

وصغرى كلها أهداف موضوعة ضمن الاستراتيجية الأميركية، الغرض منها ظهور القطب الواحد على الساحة العالمية والمهيمن على العالم والمسيّر لسياساته وعندها (فيما إذا تحقق هذا) يبدأ العد التنازلي لهذا القطب الواحد (الذي يريد الهيمنة على العالم وقيادته وفق استراتيجيته ومصالحه) فتبدأ عوامل الانهيار بالظهور فيه لأنه (وليد حرام مرفوض وجوده لأسباب كامنة فيه وفي ذاته) منها عدم قدرته على إدارة هذا الكم الكبير من البشر ومنها كامنة في ذات الشعوب التي هيمن عليها، والتي كانت ولا تزال ترفضه وبالتالي تبدأ هذه الإمبراطورية (إن ولدت) بالانهيار على غرار ما حدث للإمبراطوريات السابقة في هذا العالم عبر التاريخ الذي سيعيد نفسه هنا فتنهض الشعوب والأمم، وتنهال الضربات على رأس قادة كل من تخول له نفسه من الدول التي تريد أن تكون هي الكبرى والعظمى والوحيدة الجانب أو القطب الواحد في العالم وهذا سوف لن يدوم طويلاً في عالم السرعة والتكنولوجيا والذرة اليوم.

إذاً ما تحلم به الولايات المتحدة من أحلام خلق إمبراطورية عظمى وحيدة وفرض سيطرتها على العالم هو حلم ووهم لم ولن يتحقق وإن تحققت بعض مراحله فإنه سيجر أميركا نفسها إلى التدهور في المراحل الأخرى.

ونسأل الله تعالى أن لا تكون التغييرات هذه باستخدام أسلحة الدمار الشامل والأسلحة الذرية والهيدروجينية التي يمتلكها الكثيرون من دول العالم الأخرى والتي من المحتمل أن تستخدمها للدفاع عن نفسها وعن مصيرها الذي تريده والتي لا بد أن تكون قد عرفته وأعدت نفسها له وأعدت ما استطاعت من قوة وخطط استراتيجية لازمة لمواجهة دعاة الحروب في الولايات المتحدة ودعاة العنصرية التي تعلموها حول (البقاء للأصلح) أو (البقاء للأقوى) فحللوا دماء الشعوب وعملوا على إشعال نار الحروب بدلاً من الدعوة إلى السلام والوئام وتطوير الإنسان أينما كان ونشر المبادئ الديمقراطية والحرية بصدق وأمانة، لا نشرها بالقوة ولغايات استعمارية والتعامل مع الشعوب تعاملاً إنسانياً واحترام العقائد والمبادئ وتحويل ما يصرفوه من المليارات (لبناء ترسانات الأسلحة المتطورة) لإعمار شعوبهم وديارهم وإسعاف الجياع والمشردين في العالم ونشر الحرية والديمقراطية عن هذا الطريق لا عن طريق الحروب وإدخال العالم في مسارات تمهد لحروب شاملة كبرى ثالثة مدمرة تقضي على كل المخلوقات على هذا الكوكب.

خاتمة

الآن وبعد سنة كاملة على العدوان واحتلال العراق، ذلك العدوان الذي باركته الأمم المتحدة ومجلس الأمن (العجوزين) وأعطته الشرعية بعد أن كانت قد أدانته أول أيامه، ولم توافق عليه لأنه جاء من دون موافقتها والذي انفردت به من سمّت نفسها دول الائتلاف أو التحالف (أميركا وبريطانيا وإسبانيا) وبررته لأسباب أولها امتلاك العراق أسلحة دمار شامل وأنه يهدد أمنها القومي وأمن بعض دول المنطقة (قاصدة بها إسرائيل) وبعد سنة من الاحتلال والتفتيش الدقيق لم يثبت حتى اليوم أن للعراق أي برنامج لإنتاج أسلحة دمار شامل ولا يمتلك أي أسلحة محرمة.

ثم جاء السبب الآخر الذي جاءت به أميركا أنها جاءت لتحرير العراق وشعبه من النظام الديكتاتوري وتعميم الديمقراطية، ولكنها لم تضع النظام فقط هدفاً لها بل وضعت كل ما خلق الله على أرض العراق هدفاً لأسلحة الدمار التي تمتلكها هي واعترف بذلك وزير دفاعها (رامسفيلد) نفسه ودمرت البنى التحتية للعراق وقتلت الآلاف من رجاله ونسائه وأطفاله باسم الحرية والتحرير والديمقراطية.

أباحت أميركا كل مرافق الحياة الرسمية والشخصية للنهب والسلب والحرق والتدمير دون أن تكلف نفسها بحمايتها باسم الحرية والديمقراطية للشعب، ولم تحم من العراق إلا وزارة النفط في بغداد وآباره في الجنوب والقصور الجمهورية في بغداد والمدن الأخرى لأنها كانت قد قررت اتخاذها مقراً لها ولسفارتها التي تقول إنها ستكون أكبر سفارة في العالم.

دمرت أميركا في العراق كل ما اسمه دائرة رسمية وتركت للغوغاء والعملاء حرية الإجهاز على ما تبقى من المرافق باسم الحرية للنهب والسلب والحرق. حلّت وسرّحت الجيش العراقي العريق وقوى الأمن والوزارات والدوائر الرسمية وألقت في الشارع أكثر من نصف مليون إنسان (جندي) ومثلهم من الموظفين في الشارع وأكثر من مليونين إنسان من عوائلهم دون التفكير أو تأمين مصدر عيش لهم باسم الحرية والديمقراطية.

وبعد سنة من الاحتلال والكهرباء والماء والغاز (ونحن بلد النفط) وكل عناصر الحياة الأخرى الأساسية عاطلة عن العمل وحتى الهواء، الذي يستنشقه الإنسان تلوث بسموم ما ألقته أميركا من قنابل وصواريخ، أصبح ملوثاً يحمل غازات سامة لم تقتل الإنسان العراقي فقط بل قتلت حتى الأشجار

والمزروعات وقضت حتى على الحيوانات، فما ألقته علـــى العراق يعادل عشر أمثال القنبلتين الذريتين التي ألقتهما على (هيروشيما وناكازاكي).

وبعد سنة من الاحتلال لم يظهر في الأفق ما يؤكد صدق المحتل بأنه جاء محـــرراً للعـــراق مـــن النظـــام وناشـــراً للديمقراطية، بل الأصح والذي نراه أمامنا آلاف المعتقلين من أبناء الشعب رجالاً وحتى نساءً وأنواع وأشكال الإذلال الذي تمارسه قواتها مع أبناء الشعب وانتهاك الحرمات والبيـــوت، وحتى سرقة ما تقع عليه أعين جنودها من أموال ومصوغات العوائل دون خجل أو تحريم.

والأدهى والأمر ديكتاتورية الحاكم المدني للعراق ومـــا يصدره من قرارات ديكتاتورية لا إنســـانية بحـــق الشـــعب العراقي وتعمد تأخير القرارات التي تؤدي إلى إعادة إعمـــار العراق وإعادة الحياة إلى العراق والعراقيين، فالبلد على حاله من حيث الحياة المدنية الإنسانية والخدماتية.

والعكس هو الصحيح تجده حريصاً جـــداً علـــى إثـــارة النعرات الطائفية بين العرب والأكراد وبين السنّة والشيعة من خلال توزيعاته السلطة بين مجلس الحكم، وفي تنظيم قـــوات الأمن والجيش الجديد ووظائف الدولة التي لا يعين فيها أحد إلا بموافقته أو موافقة من يمثله فيها وعلـــى أســـاس نفـــس

المفاهيم الطائفية. ولا صلاحية لمجلس الحكم في أي قرار في هذا المجال ولا في غيره بل هم المنفذون لقراراته في هـذا المجال.

وبعد سنة من الاحتلال والشباب ضائعون في الشـوارع دون عمل إسوة بإخوانهم من مـوظفي الدولـة المسرّحين أو التي لا زالـت مصـالحهم مغلقـة أو مخربـة فالبطالـة وصلت إلى أكثر من 80% بين الرجال وبين 90% بين النساء اللواتي لازمن بيوتهن لفقدان الأمن والحقـوق وحـذراً مـن الاعتداء.

وبعد سنة من الاحتلال لم يكمل إعداد أجهزة الأمن (إن كانت عناصرها قد انتخبوا من الخيرين) ولم يتحقق الأمـن والنظام المفقودان كلياً، فـلا زال النهـب والسـلب والقتـل والخطف والعدوان موجودين بل ومشروعين في الـبلاد، إذ كيف ينتهي الفلتان وهذه الملايين من العاطلين والجياع هـم وعوائلهم تائهون جائعون لا يجدون ما يقتاتون عليه. إذاً هي خطة منظمة لخلق هذه الفئة عمداً وطرحها في البلد لتعكّر أو تبقي الأمن مفقوداً.

وبعد سنة من الاحتلال اختفى كـل الخيـرين الطيبـين المخلصين من العلماء والحكماء والأساتذة والمعلمين والكتّاب والمفكرين وحتى رجال البلد السياسيين والوجهاء اختفوا في

زوايا دورهم ليأمنوا على احترامهم أو على حياتهم أو مصيرهم إذا ما نطقوا بالحق ودعوا إليه، وطغى على السطح كل عنصر شر انتهازي منافق أو سفيه أو مارق أو قاتل أو عميل أو مستغل.

وبعد سنة من الاحتلال ولا زال مجلس الحكم الانتقالي عميلاً وخادماً للحاكم المدني الأميركي مهاناً من قبله، لا يملك أي صلاحية لتنفيذ ما قد يستطيع تنفيذه من خدمة للشعب على الأقل ليرى الشعب أنه حقاً جاء لخدمته وأنه فعلاً يمثل شريحة منه، وحتى هذه المحاولة لا يريد الحاكم المدني أن يساعده فيها بل يسعى ليبقيه عميلاً عاطلاً عن خدمة الشعب.

ثم وإن استطاع أن يحصل على موافقة الحاكم المدني في صلاحية ما، كيف يستطيع أن يقرر مشروعاً أو إعماراً يتطلب إقراره موافقة خمسة وعشرون عضواً كل منهم راكب حصانه (بالمقلوب).

وبعد سنة من الاحتلال لم يخرج هذا المجلس الموقر بأي قرار يثبت مستقبل العراق ومستقبل شعبه أو يعالج مشاكله الاجتماعية والإنسانية وحتى الشرعية (ألغي قانون الأحوال الشخصية المعتمد على ما جاء بالشريعة الإسلامية) التي أصيب بها، وعلى رأسها الأمن والبطالة والكساد الاقتصادي وتوقف البناء والإعمار وكل ما استطاع هذا المجلس إقراره

هو إعلان يوم الاحتلال عيداً رسمياً أو إعلان إلغاء قانون الأحوال الشخصية أو إعلان تغيير النشيد الوطني والعلم العراقي أو إعلان وقرار تصفه عناصر حزب البعث في العراق والذي كان تعداده بالملايين من الرجال والشباب والنساء دون التفكير بمصيرهم ومصير عوائلهم ولا بالطريقة التي بعثوا بها أيام العهد السابق متناسين أن البعث فكر وإيديولوجية عربية وقومية ينبت بالعقل والروح والممارسة واجتثاثه يتطلب اجتثاث الفكر ولا يكون هذا إلا بالفكر والعقيدة الأفضل فأين ما جاؤوا به من العقائد والأفكار؟ هل هي حرية وديمقراطية أميركا أم هي حرية التجزئة الوطنية المذهبية والقومية والعشائرية فأي عقيدة هذه التي طرحها الأميركان للشعب، عقيدة الصواريخ والدبابات والموت والدمار. ثم هل يريدون لاجتثاث البعث بقطع رؤوس هذه الملايين لنزع أفكارهم أم يريدون أن يخلقوا هم أيضاً مقابر جماعية أخرى غير التي اكتشفوها وتذرّعوا بها.

بعد سنة من الاحتلال لم يقرر مجلس الحكم ولا الأميركان أي نظام سيكون عليه العراق!! تقسيمه فدرالياً أم تجزئته قومياً أم توزيعه إدارياً أم تفريقه دينياً ومذهبياً وعشائرياً؟؟ والشعب بين هذه الأفكار والمشاريع تائه ينتظر مصيره المظلم لا يدري لأي فئة ينتمي أو أي فكرة يعتنق أو

يؤيد، فالكل يريدونه مقسّماً موزّعاً هدية لخيانة أو مكافأة لعمالة.

وبعد سنة من الاحتلال يخرج مجلس الحكم وبأمر من الحاكم المدني بدستور مهلهل أهم ما فيه هو فدرالية حكم الأقلية للأغلبية والأكثرية بإعطائه حق الأقلية لنقض قرارات الأغلبية فأي دستور ديمقراطي هذا أيها المفكرون والمخلصون.

وأخيراً وبعد هذا كله هل يحق للأميركان ومجلس الحكم وحكماؤه وأحزابه أن لا يثور الشعب ولا ينتفض ويقاوم الاحتلال وعملاؤه. فإلى متى يريدون من هذا الشعب الأبي أن ينتظر ويطلبون منه التروي والحكمة وأن لا يرفع السلاح بوجه المحتل وهو الشعب الذي يعرف طريقه وقادر على أن يرسم مستقبله بنفسه حتى وإن لم يبق منه إلا فرداً واحداً. فهو العراق وشعب العراق صبور أكثر من سيدنا (أيوب) عليه السلام ولكنه قوي وشديد المراس جامح وقوي عندما تُهان كرامته وتُستباح مقدساته وتُدنّس أرضه وتُهدر حقوقه والموت في سبيل الوطن عنده شرف والجنة مبتغاه فإما أن يعيش كريماً أو أن يموت شهيداً. وهذا ما نجده اليوم على أرض الفلوجة والنجف وكربلاء وصرح أبو حنيفة ومقام سيدنا الكاظم في بغداد وفي كل أنحاء العراق.

والآن ونحن في يوم الثلاثاء 1 حزيران 2004 أعلنت فيه الحكومة الموقتة الموعودون بها وإذا بها كالآتي:

حكومة معينة غير منتخبة تعاون على تأليفها كل من ممثل الأمم المتحدة الأخضر الإبراهيمي ومجلس الحكم الموقت المؤلف ممن جاؤوا مع المحتلين والحاكم المدني الأميركي المستر برايمر.

رئيس الجمهورية سني ونائب له شيعي وآخر كردي.

رئيس وزراء معين من قبل الحاكم المدني الأميركي ولا حتى متفق عليه من ما يسمى بمجلس الحكم الموقت.

وزارة معينة مقسمة على أساس طائفي وديني ومذهبي وعشائري وزراؤها عراقيون يخضعون في قراراتهم إلى هيئة استشارية أميركية تقرر للوزارة ما تشاء ولا توافق على ما لا تشاء.

سفارة أميركية هم يقولون أنها أكبر سفارة أميركية في الشرق الأوسط والعالم قوامها (4000) موظف لها مكاتب استشارية خاصة في كل محافظة من محافظات العراق تحت اسم مكاتب استشارية.

قوات أميركية لا زالت على أرض العراق تعدادها (أكثر من 140 ألف مقاتل) بكامل قواتها ومعداتها وقياداتها معصومة

وله حصانة كاملة فيما تفعل ولا يجوز التدخل والاعتراض على تحركاتها ولها السلطة الكاملة فيما تتخذه من إجراءات قمعية وليس للحكومة أي سلطة أو صلاحية للتدخل في شؤونها.

يساعد هذه القوات قوات متعددة الجنسيات من دول أخرى تكون تحت قيادتها (القيادة العامة الأميركية في العراق). يقال أنها ستنسحب من المدان وتستقر في قواعد عسكرية خمسة أو أكثر في أنحاء العراق من الشمال إلى الجنوب.

والآن وبعد أن قررت الأمم المتحدة استلام الحكومة العراقية السلطة والسيادة في 30 حزيران 2004 نرى ما يلي:

1. إن هذه الحكومة هي حكومة استلام السلطة وليس السيادة مع كل ما تقدم من صلاحيات للقوات الأميركية والقوات متعددة الجنسيات وقيادتها الأميركية في العراق.
2. ليس لها الحق في التدخل في تحركات وأعمال القوات المسلحة الأميركية التي لا زال تعدادها (140) ألف مقاتل مضافاً إلها القوات متعددة الجنسيات التي ستصل العراق بموجب قرارات الأمم المتحدة.
3. ليس لدى الحكومة الموقتة أي صلاحيات في إدارة

واردات العراق النفطية وغير النفطية ولا التصرف بها إلا موافقة أو استشارة من السفارة الأميركية ومكاتبها الاستشارية في المحافظات وهيئاتها الاستشارية في الوزارات.

4. ليس لها الصلاحية في عقد أو إلغاء أي عقد تم عقده مع الشركات الأميركية والأجنبية التي كان الحاكم المدني قد أبرمها ووافق على ابرامها عند وجوده ومعروف أن معظمها كان غير شرعي وغير قانوني.

5. ليس لها الصلاحية في تعديل أو الغاء أي قرار تم اصداره من قبل الحاكم العسكري قبل استلامها للسلطة وخاصة ما كان يتعلق بالجانب الأمني.

فأي سيادة هذه التي استلمتها هذه الحكومة مع كل هذه القيود التي كبلت بها ومع كل حقوق السيادة التي سلبت منها؟ إذا فهي حكومة استلام سلطة (وسلطة ناقصة) وليس حكومة استلام السيادة التي يقولون أنها كاملة.

هي حكومة معينة وغير منتخبة واجبها رفع مهمة تحقيق الأمن عن كاهل الاحتلال بل وحمايتها والعمل على قمع المقاومة العراقية وهذا ما صرح به رئيس الوزراء الجديد عندما هدد بإعلان الأحكام العرفية وحالة الطوارئ في بعض مناطق العراق.

وكذلك من المقرر أن تشرف هذه الحكومة على إجراء الانتخابات بالتعاون مع الأمم المتحدة وانتخاب أعضاء البرلمان العراقي الجديد بنزاهة وديمقراطية وحرية ثم قيام هذا البرلمان بانتخاب رئيس جديد للدولة وحكومة دائمة وإعداد دستور دائم للبلاد.

وسنرى إن شاء الله ما ستحققه هذه الحكومة إن كانت حقاً ذات سيادة ومخلصة تعمل من أجل العراق وشعبه بإخلاص وأمانة وتحقيق أماني الشعب العراقي للعيش في أمن وحرية وديمقراطية صحيحة حقاً، ومن الله التوفيق والنصر من عند الله العلي القدير.

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

«.. الخامسة والنصف من فجر يوم الخميس دقت صفارات الإنذار منذرة بالهجوم الجوي والصاروخي الكثيف على بغداد والمدن الرئيسية مستهدفة كل هدف عسكري أو مدني اقتصادي أو ثقافي وتاريخي فلم يميز ذلك القصف المدمر بين هذه الأهداف بل شملها كلها حتى المدارس والمعاهد والكليات والمتاحف والوزارات ودوائر الدولة كلها والدور السكنية».

«.. وانهارت القوات المسلحة العراقية في الجنوب والوسط والشمال، بل استسلم البعض منها بسهولة ودون مقاومة لم يتوقعها العدو نفسه، وتم احتلال بغداد في يوم الأربعاء في التاسع من نيسان عام 2003 وفي مساء ذلك اليوم انتهت القدرة على مقاومة الغزو وسكت القصف ودخل الغزاة بغداد وتفرقت قوى الدفاع إلى فلول داخل بغداد».

«.. هيمنت دول التحالف على العراق مدينة بعد أخرى دون مقاومة تذكر، وتطوعت القوى الكردية في الشمال للتعاون مع القوى الغازية في الشمال لإسقاط كركوك والموصل واستسلام الفيالق والفرق المقاتلة فيها دون مقاومة..»

«وهكذا بدأت معاول الهدم والتخريب والحرق والسلب والنهب تعم البلاد في كافة المدن وخاصة بغداد، بمساعدة قوى التحالف نفسها التي كانت تقف موقف المتفرج على هذه العمليات التخريبية ولم تكلف نفسها حتى ولو بالمحافظة على المهم، من الوزارات والدوائر المتعلقة بالأمور الذاتية والإنسانية للبلد كدوائر النفوس والجنسية والمستشفيات..»

ISBN 9953-29-982-X

9799953299821

ص.ب 13-5574 شوران 2050-1102
بيروت - لبنان
هاتف: 785107/8 (1-961+)
فاكس: 786230 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers
www.asp.com.lb

جميع كتبنا متوفرة على شبكة الإنترنت
نيل وفرات.كوم
www.neelwafurat.com